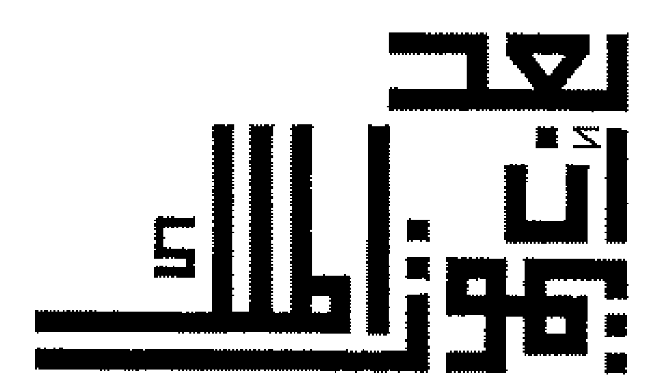




الطبعة الثانية

١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م

اهداءات ٢٠٠١

أ.صلاح راتب

القاهرة

© دار الشروق

بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ – هاتف : [illegible] – برقيا : داشروق – تلكس : SHOROK 20175 LE

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني – هاتف : ٧٧٤٨١٤ – ٧٧٤٥٧٨ – برقيا : شروق – تلكس : 93091 SHROK UN

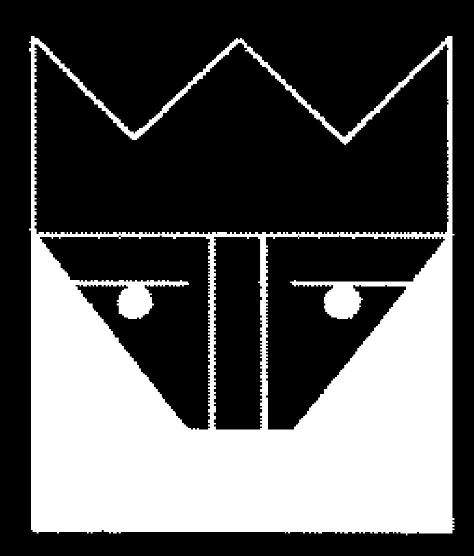
بعد أن يموت الملك

صلاح عبد الصبور

دار الشروق

إلى الملكة الأسيرة

الفصل الأول



«الستارة هابطة . وأمامها إلى يمين المسرح منظر شط نهر وكوخ صغير . لا دقات للمسرح ، بل تبدأ الموسيقى هادئة ، ثم ما تلبث أن ترتفع ، وتتحول أنغامها لما يشبه استعراضات السيرك ، أو افتتاحيات الأوبراكوميك . ثم تدخل من القصر ، أي من وراء الستار ــ ثلاث من النساء في زينة واضحة التبرج ، وفي يد كل منهن ورقة كأنها تراجع دورها . وحين تعطيهن الموسيقى إشارة البدء يقفن أمام الستارة على مسافات متساوية ، ثم تعطيهن الموسيقى إشارة البدء بالكلام» ..

المرأة الأولى

أهلاً بكم ــ سيداتي سادتي في مسرحنا ، ونشكركم لتلبية دعوتنا ، وإن كانت هذه الدعوة ليست خالصة . فنحن نعلم ــ أنكم أو معظمكم ــ قد دفع ثمن تذكرته ، وربما لم يفلت من هذا الأمر الثقيل سوى من له أصدقاء أو أقارب بين الممثلين أو موظفي المسرح أو موظفي المؤسسة أو الهيئة . وعلى كل ؛ فهذا لن يقلل من حفاوتنا بهم ، فهذه مسألة جانبية بالنسبة لنا ، فإن قروشكم لن تدخل جيوبنا ، كما أننا سنتقاضى مرتباتنا سواء أجئتم أم لم تجيئوا ... امتلأ مسرحنا أم كان مقفراً تتردد فيه بدلاً من أنفاسكم أنفاس الأخشاب والحجارة .

والمسرحية التي نقدمها لكم الليلة من تأليف شاعر يدعى صلاح عبد الصبور ، وهو رجل أسمر ذو نظارات كان يزورنا أحياناً في أثناء البروفات ومن إخراج ...

المرأة الثانية

والمؤلف والمخرج كما تعلمون يستأثران بثمرة نجاح العمل المسرحي ، وينصب لهما النقاد ـ وهم أصدقاؤهما عادة ـ خيمة من الثناء ... يقولون إن المؤلف قد تفوق على نفسه ، وإن المخرج قد ألف عرضاً مسرحياً باهراً ، أو غير ذلك من العبارات الرنانة التي لا معنى لها ، وينسى النقاد عادة جهد الممثلين الذين يقع على كاهلهم العبء الأكبر ، وبخاصة إذا كان دورهم ليس رئيسياً كدورنا نحن اللائي نقوم بدور محظيات الملك ، بجانب بضعة أدوار صغيرة أخرى . ولذلك فاسمحوا لنا أن نتحدث إليكم من حين لآخر وأن نذكركم بأنفسنا في نهاية العرض .... هذا بالطبع إذا أحسسنا أن العرض أعجبكم ، واننا سنحظى بإعجابكم وتصفيقكم هكذا (يصفقن) لا بلعناتكم ومصمصة شفاهكم هكذا (يمصمصن بشفاههن) .

المرأة الثالثة

والمسرحية التي نعرضها الليلة عن موت أحد الملوك ، وقد استخرج المؤلف من أحد الكتب الصفراء التي يدمن قراءتها إحصائية غريبة تقول : إنه يموت في كل دقيقة تسعة وثلاثون ألفاً وسبعمائة وأربعة وخمسون من البشر ، بينما يموت ملك واحد كل ثمانية أعوام وخمسة أشهر . ومن هنا فإن موت أحد الملوك ليس أمراً عادياً ، بل هو جدير بأن يلهم شاعراً ما إحدى مسرحياته .

المرأة الأولى

وهذه المسرحية عن آخر ملك مات منذ ثمانية أعوام وخمسة أشهر ، وقد يسأل سائل ذكي : ملك أي البلاد كان هذا الملك ؟

المرأة الثانية

وواقع الأمر أن المؤلف لم يخبرنا ، وربما كان قد أخبر المخرج ، الذي أخبر مدير المسرح ، الذي سألناه فقال مصطنعاً لهجة الجد الشديد :

المرأة الثالثة

هذا الملك .. آه .. بالطبع .. تقريباً هو ملك لإحدى المدن الكبيرة التي تقع على مجرى نهر ، قد يكون بجانبها بحر واسع أو جبل شامخ .. وهي مدينة واسعة طبعاً تشقها طرقات كثيرة ، تتعرج أحياناً وتستقيم حيناً آخر ، وتتناثر فيها الأسواق والمعابد والصيدليات والحانات والمدارس والسجون ... وأماكن أخرى .

المرأة الأولى

وقال مدير المسرح أيضاً نقلاً عن المخرج نقلاً عن المؤلف إن هذا الملك ظل يحكم المدينة عشرة أعوام ، وإن كان مؤرخه الرسمي ـ الذي سترونه فيما بعد ـ قد أثبت في أحد أبحاثه الرصينة المذيلة بالمراجع الهامة كدائرة المعارف البريطانية ومختار الصحاح وتقويم العبقري الفلكي وأصول التدبير المنزلي وغيرها ، والمحلاة بالصور

الزنكوغرافية لتطور توقيعات الملك ، وبطاقاته الشخصية والعائلية ... أثبت هذا المؤرخ الحصيف أن المملكة لم تعرف طوال تاريخها ملكاً غيره ، وأن اسمه على الأزمان المختلفة كان أنوبيس الأول ، وجورجياس التاسع ، وابن طولون الثالث ، ولويس الرابع والثلاثين ، وعبد الرحمن الخامس ... إلى آخره .

المرأة الثالثة

ولما كنا ـ نحن البشرَ العاديين ـ نحب أن نتلذذ بمشهد ارتفاع السادة وسقوطهم ، فقد آثر المؤلف أن يبدأ العرض بمشاهد من حياة الملك السعيدة ، ثم يرينا مشاهد من موته ، وما حدث بعد موته ، وذلك لكي يجعلنا نحس ... بالتشفي .

المرأة الثانية

والتشفي عاطفة لم يتحدث عنها أرسطو حين قال : إن دور الدراما هو بعث عاطفتي الشفقة والخوف ، ناسياً أجمل العواطف البشرية الرقيقة التي تفوح في ثنايا النفس كالوردة العطرة ، وهي عاطفة التشفي .

المرأة الأولى

وبالمناسبة ، لقد قلنا ذلك لمدير المسرح الذي نقله بدوره للمخرج ، الذي نقله بدوره إلى المؤلف ، فأنكر المؤلف ذلك ، بل إن وجهه احمرّ خجلاً ... أو على الأصح ازرقّ خجلاً وقال :

المرأة الثالثة

لا .. لا .. فأنا رجل يتمتع بالأخلاق الحميدة ، ولن أسمح ، لعاطفة كالتشفي أن تعيش في نفسي ، ولكن .. ارجعوا لأرسطو صفحة ٤٣ من كتاب الشعر لتعرفوا ماذا أريد .

المرأة الثالثة

وبحثنا عن كتاب أرسطو ، فإذا بجميع مثقفينا لا يعرفون شكله ، وجميع الذين يتحدثون عنه لم يقرأوه ، وأخيراً وجدنا نسخة قديمة منه عند أحد باعة الصور العارية وفتحنا الصفحة ، فإذا بها تقول :

المرأة الثانية

وينبغي على الشاعر الدرامي أن يرينا العظماء في حال ارتفاع نجمهم وتألقه ، حتى إذا انتقلوا من حال السعادة والنعيم إلى حال التعاسة والشقاء أشفق المتفرج عليهم ، وتألم لمصائرهم ، إذ أن انتقال العظيم من الارتفاع إلى الانحدار ، يثير في النفس من المشاعر أكثر مما يثيرها انحدار من لم يعرف طعم السعادة ، ولم يذق حلاوة النعيم ...

«في أثناء سرد الاقتباس ، تبدأ الموسيقى ، ثم ترتفع حتى تطغى على صوت المرأة الثانية ، رغم ما تبذله من جهد في الصراخ ، وينفرج في الوقت ذاته الستار عن قاعة العرش التي تمثل الجزء السفلي من المشهد .. قاعة واسعة يتوسطها مقعد ملكي ضخم . في عمق المسرح الأيسر درج يقود إلى الغرف الملكية التي تكون الجزء العلوي من المشهد . وهي مظلمة الآن ..

وسط قاعة العرش يقف الملك مزهواً ، ووراءه صف من الرجال متشابهي الملابس يتمايزون بأغطية رؤوسهم . ملابسهم كلهم زرقاء ... هؤلاء الرجال هم الوزير والمؤرخ والقاضي والشاعر والجلاد ... وقد يرى المخرج أن يلصق على ظهر كل منهم قطعة من القماش تدوّن عليها مهنته ، كالأرقام التي تلصق على قمصان لاعبي الكرة ..

تتحول الموسيقى إلى موسيقى رقص . ليكن الفالس أو غيره من الرقصات ، وتتجه النساء على إيقاعها ليقفن صفاً أمام الملك ورجاله ، ثم يثبتن في أوضاعهن كالدمى. وتنضم إليهن نساء أخريات .. اثنتان أو ثلاث أو أكثر ..

يشير الملك إلى الأولى في صف النساء ، فتدب فيها الحركة فجأة ، وتتقدم إليه بخضوع ، ويلاحظ في هذا المشهد أن الموسيقى تنطلق حين يصمت الملك ، وتصاحبه بإيقاعاتها في كل حركاته ، وكأنها إطار لكلماته ، ويلاحظ أيضاً أن الحديث بين الملك والنساء يدور في صوت بين النجوى والخطابة ، ويغلب عليه طابع الإستعراض ..

يخاصر الملك المرأة مراقصاً ..

الملك

كالكأسِ المقلوبَة يتدوَّرُ صدرُكْ ....

المرأة

مولايَ .. ائذن والمسه في خلوَهْ
يتصبب خمراً حتى تبتلَّ أناملُكَ الحلوَهْ
أو يسعى مزهوّاً في نعمةِ عينيكْ
حتى يَنْدَى في زهرةِ شفتيكْ

الملك

يتثنى جسمُكِ في لِينٍ متكسرْ
ويجاوِبُ أطرافي في إيقاعاتٍ رِخوهْ
كالحقلِ النائمِ في دفء الصبح الشتويِّ الأشقَرْ

المرأة

مولايْ
أرسل أنفاسَكَ في جلدِي كالريح المرحه

لتهزَّ ثماري ، وتكوِّمها ناضجةً متفتحةً بين يديكْ
ضَعْ تحت ثيابي شمسَ الظهرِ بكَفَّيكْ
يَتَخَلَّعُ جسمي عندئذٍ ، يترشف هذا الوهَجَ المترفْ
وينام قريراً ممتناً بالفرحهْ
كالحقلِ النائم إعياءً في حُمْرَة آصال الصيفْ

الملك

فخذاك عمودان يقودان إلى النبعِ المكنونْ
المستغرقِ في سَبَحَات تأمل ذاتِهْ
في باطِنِ مرآتِهْ

المرأة

مولايْ
فلتتسلل كإله الغاباتِ السحريهْ
تتقدمك القوسُ المرهَفَةُ الفضيَّه
ولتهبطْ بين شجيرات الورد الملتفَّهْ
ولتنزلْ ضيفاً في أرض الظلِّ القمراءْ
أرضٍ ساكنة دوماً ، غائمةٍ بنثار الأنداء
حتى تصلَ إلى النبع المكنون
أَنفِذْ قوسَكَ في صفحة مرآتِهْ
واشغله عن سبحات تأمل ذاتِهْ

الملك

« يتوقف فجأة . وينزع المرأة من ذراعيه فتتصلب في مكانها كأنها دمية »

أوف ، ما هذا الضجر الموحش كالصحراء
قلنا هذا من قبل ...
نفسُ الكلماتِ الباردةِ الملساءْ
قلناها أمسِ ، وأمس الأمس
عودي للصفّ
يا هذا الشاعر

الشاعر

مولاي !

الملك

هل تدري لِمَ أطعمُكَ وأكسوك ... ؟
تأكل كالثعبان إلى أن تغلبك التخمةُ والإعياءْ
وتعبُّ الخمر كأنك أرضٌ عطشى للماء
آمر لك بالأقلام وبالأوراق وبالحبر ،
وبالنزهة في شطِّ البحرْ
كي تستلهمَ شيطانَكَ أو عفريتَكَ ، أو
وحيكَ أو ما لا أدري من أسماءْ
بل إني أسمحُ لكَ بالنوم إلى قربِ العصر

إستثناء لم يَحْظَ به أحد من أتباعي الخلصاء
فلماذا ؟

الشاعر

كرم مشكور من مولاي

الملك

لا ... لستُ غبياً حتى هذا الحد
حتى أعطي ، لا أنتظر الرد
إني ألقي في بطنك أحمالاً من خمر وطعامْ
حتى تطفحَ بطنُكَ شعراً ، يستأهلُ ما أبذُله من إنعامْ
أذكر حينَ دخلتَ معيتي الملكيهْ
أنك قلتَ بصوت متهالك
... كنت نحيلاً كجرادِ الصحراء
متسخاً ... مثلَ حذاء

الشاعر

« محتجاً في تهالك »

مولاي !
ليس إلى هذا الحد ...

الملك

لم يعجبْكَ التشبيه

لك حق

علمني ــ عندئذ ــ كيف أُشَبِّه شيئاً متسخاً

دعنا من هذا ...

هل تذكر ما قلت ؟

الشاعر

أذكرُ يا مولاي

الملك

وأنا أيضاً أذكر

أذكر أنك قلت بصوت متعثر :

حتى لا يهزأ بي أصحابي الشعراء

ويقولون إذا اجتمعوا في مقهاهمْ إنّي أتسولُ بالشعر

فضلاً عن أنَّ النقادَ يقولون بأن العصرْ ....

يأنفُ من إزجاء الكلماتِ إلى أعتابِ الأمراء

لغوٌ مضطرب المعنى ، لكني لم آبهْ لَهْ

فأنا لا يعنيني أَنْ تمدَحَني كلماتٌ تذهب في الريح

تمدحني أفعالي ... يمدحني التاريخْ

لن أتسلل في أرض التاريخ كشحاذٍ يلتفُّ بأسمالٍ مهترِئَهْ

وعليها بُقَعٌ من سيء شِعرِك

ولهذا لم آبه لكلامك .. قلت

أنا لم أدخلك معيَّ لتمدحني
بل كي أسمع صوتاً يؤنسني .. ينعشني
يجعلني أشعر .. أني .. أني ...
إنك تدري أني رجل تثقله الأعباء
حتى لا أجد الوقت لكي أستمتع بالدنيا
مثل العامةِ والدهماء
لَمْ أكُ محتاجاً لقصائد مدحٍ تتغنى بي
بل محتاجاً لقصائد حب ، لتُغَنَّى لي ، تخرج بي من أجواء الإعياءْ
لتلقّنها لي ، وتلقّنها للمحظيات
حتى تنعشني .. هه .. تجعلني أشعر أني أرغب فيما يرغب فيه ....
العامةُ والدهماءْ
وسألتُ ، فقالوا :
إنك أبرعُ من يكتب شعرَ الحب الفائرْ
فبعثتُ إليك

الشاعر

كانت أشعاري ترضي ما يبغيه مولاي
حين تسيلُ على شفتيه أو شفتيْ إحدى المحظيات

الملك

والآن ...
ما زلت تكرر نفسَ الكلمات

نفسَ الخطرات ونفسَ التشبيهات

لِمَ لَمْ تكتبْ شيئاً أجمل من هذا الشيء الفاترْ

وتلقنه للمرأة

أسبوعانِ الآنَ ، ونحنُ نقولْ

كالكأسِ المقلوبةِ .. مولايَ .. كالكأسِ المقلوبة .. مولايْ

الشاعر

معذرةً يا مولاي

لكني قد لقنتُ الأخرى كلماتٍ مبتكره

قد ترضي رغبتكَ الملكيه

الملك

قد ... قد ... دوماً قد

لا شيء مؤكد

سنرى .. أنت تعالي

« تدب الحياة في المرأة الثانية ، ويرتفع صوت موسيقى الرقص ، يتأملها الملك ، ثم يعود إليه تهلله ، ويبدأ في مراقصتها ، وتصاحب المرأة الموسيقى بصوتها المنغم » .

الشاعر

« ملقناً الملك في صوت خفيض »

يتنزلُ صوتكِ مثل رنين الجرسِ الفضيِّ المتفرد يتقطَّرُ من برجٍ

متشح بمروجِ الغيمِ الزرقاء

الملك

يتنزل صوتكِ مثل رنين الجرسِ الفضيِّ المتفرد

يتقطَّرُ من برجٍ متشح بمروجِ الغيمِ الزرقاءْ

المرأة الثانية

يغدو أصفى حين يغرِّدُ في فضةِ أعطافِكْ

يغدو مكتوماً ونقياً كصدى قطراتِ الخمر الورديَّة

حينَ تفيضُ على وجه الكأس البلوريَّة

خذني ... يا مولاي

الشاعر

« متدخلاً ، وقد أفزعه ما صنعته المرأة »

لا .. لا .. قد ضاعَ المشهدْ

نَسِيَتْ هذي المرأةُ أجملَ ما فيه

سامحني يا مولاي

« للمرأة »

ما زال هناكَ حديثٌ عن قيثارةِ حنجرتِكْ

والأوتارُ تناشدُ مولانَا أن يلمسها بأصابعه النورانيَّة

ما زال هناك حديثٌ عن إغماضة عينيك ، وأنتِ تغنينْ

وتقولينَ لمولانا عندئذ إنك تحترقينْ

شوقاً أن يرقد مولانا في دفء الأمواجِ العسليَّة

وأخيراً ، كان جلالته سيقولْ
خطواتُكِ كالموسيقى إذ تتوافق في ذهن الفنانْ
عندئذ كنت تقولينْ
بَعْثِر هذي الأنغامَ على سلم رغبتِك الملكيَّه
وبصوتٍ يتقطع آهاتٍ في حلقك ، تنتفضينْ وتقولينْ :
خذني يا مولاي

الملك

آهٍ .. ما أتعسَ حظي
راقت لي الألفاظ كثيراً هذي المره
لكن نَسِيتُهَا هذي المأفونَهْ
لا شيء يتم كما نهوَى ، والأيامُ الحلوةُ لا تتكررْ

« يلتفت الملك للمرأة الثالثة ، وحين يهم باستدعائها ، وتوشك الحياة أن تدب فيها يدخل المنادي الملكي ، وهو قزم أحدب ، معلناً بصوت وصدى معاً » .

المنادي

يا مولاي .. لاي .. لاي .. الخياط الملكي .. كي .. كي ..
يستأذن أن يدخل .. خل .. خل .. كي يعرض يا مولاي .. لاي ..
لاي .. بعضاً من .. من .. من

الملك

يكفي .. يكفي .. فليدخلْ

لحظة

اسمعْ يا بهلول

هل لك زوجه ؟

المنادي

لا أملك ما ينفعُ للزوجة يا مولاي

الملك

تملك قربكَ مني

المنادي

ما يعني الزوجة حين يجن الليلْ ،

وتقتربُ الساق من الساق ، ويدعو الميلُ الميلْ

هو قربي منها

لا قربي من مولاي

الملك

«ضاحكاً ، ومشيراً للمرأة الثانية ، التي تتحرك نحو المنادي في فتور حين تسمع حديث الملك»

بهلول

خذ هذي المرأةَ زوجاً لك

وسترضى عنها حينَ تزولُ الكلفه

وتحلُّ الألفه

المنادي

لن ترضى هي عني يا مولاي

الملك

هذا دأبُ الزوجاتِ جميعاً

يوماً يغضبن ويوماً يرضينْ

إن غضبتْ صالحْهَا يا بهلول

المنادي

أسفاً يا مولاي

لا أملك ما أبعثه مندوباً عني

يسترضيها إن غضبتْ مني

الملك

ويحك يا بهلول

هل ترفض هبتي

أتراها أهونُ من قدرِكَ عندي

المنادي

بل هي أعلى من قدري في نفسي

أنظرْ يا مولاي

هبني اسطعتُ تسلقَ هذي الساق المنصوبه

ماذا أصنعُ في هذي الفخذ المصبوبه

أو هذا البطنِ المترع

أو هذين الثديين المتفضين

أو هذا العنق المشرع

أو هذا الخد اللامع

أو هاتين العينين الجارحتين

لا .. لا ..

هي أعلى جداً من قدري يا مولاي

الملك

الأمرُ بسيط

لا تجعلها تتمدَّدُ في فرشك كالرمح

طبقْها طياتٍ طياتٍ كالورقه

المنادي

هذا يستدعي أنْ ترقد في جانبنا يا مولاي

حتى تأمرَها فتطيع

الملك

شرطُك مقبولْ

والآن .. اذهبْ .. ناد الخياط

لحظاتٍ .. يا قاضي الملك

القاضي

أمرك يا مولاي

الملك

زَوِّجْ عبدي هذا من جاريتي تلك الآنْ

القاضي

مولاي !

قد يذكر مولانا قانوناً أصدره مولانا

يقضِي ألا ينعقدَ العقدُ سوى في بيت العدلْ

الملك

ما هذا يا قاضي السوء

ما دمتُ أنا صاحب هذي الدوله

فأنا الدولة ... أنا ما فيها ، أنا من فيها ...

أنا بيتُ العدل ، وبيتُ المال ، وبيتُ الحكمه

بل إني المعبدُ والمستشفَى والجبَّانةُ والحبسْ

بل إني أنتم ، ما أنتم إلا أعراضٌ زائلةٌ تبدو في صور منبهمة

وأنا جوهرها الأقدسْ

« مشيراً لنفسه »

فلينعقد العقد ... ببيت العدل

القاضي

ما أروع هذي الفتوى يا مولانا الأعظم

لا أدري كيف تولتْ عن ذهني المعتم

إنك تغذونا دوماً بلطائفِ فطنتك الفقهيَّه
سأسجل هذي الفتوى في أوراقي
وسأكتبُ عنها بحثاً في موسوعتيَ التشريعيَّه .

«يسحب أوراقه»

الملك

يا قاضي السوء
قبل الملق الشفافِ كبصقةِ سوقيْ
افعلْ ما قلت ، وخلِّ التسجيل لما بعد

القاضي

أمرك .. يا مولاي

«ينظر إليهما ، ثم يستدنيهما ، ويقول»

كونَا زوجينْ
كونَا زوجينْ
كونَا زوجينْ

الملك

والآن .. اذهب يا بهلول وناد الخياط
خذ هذي المرأةَ في ذيلك

«يتحرك المنادي والمرأة ، ويعبران أمام عيني الملك ، الذي يلحظ مظهرهما المتنافر غير المنسجم ، فما يلبث أن ينادي بهلول قبل أن يخرج» :

يا بهلول .. عدْ يا بهلول

«لنفسه»

إيه .. لولا ضعفي نحو القيم التشكيليَّه

التكوين رديء ... مملوء بالأخطاء الفنيَّه

يا قاضي السوء

افصلْ بينهما ، ولنحفظْ هذي المرأة للخياط

فهو طويل القامة ، نوعاً ما

القاضي

«يوقفهما أمامه ، وينظر إليهما قائلاً» .

كونَا منفصلَيْنْ

كونَا منفصلَيْنْ

كونَا منفصلَيْنْ

الملك

اذهب يا بهلول ، ونادِ الخيَّاطْ

المنادي

لكنك لن تنسى وعدَك لي مولاي

أن تغشى بيتي يوماً ما

الملك

لن أنسى يا بهلولْ

يعجبني أنكَ لا ترضى أو تغضبْ
ولعلكَ في باطنِ نفسك لا تأبَه
لا تعرف ما يدعوه بعض الناس
بالنخوةِ .. أو ما أشبَهْ

المنادي

«يخرج وهو ينادي»

يسمح مولاي .. لاي .. لاي لتابعه الخياط .. ياط .. ياط ..
بأن يدخل .. خل ... خل

«يدخل الخياط مندفعاً ، كأنه كان يعدو ، وعندما يقف أمام الملك يشرع في قرص فخذيه وخديه» .

الخياط

دلوني يا سادتيَ نجوم المجد
هل أنا في حلم أو في يقظه
هل أنا حقاً في حضرة مولانا البدر المتجسد
تَنهلُ عيني من رائق أنواره
ها أنذا أقرص نفسي كي أتأكَّدْ
لكن النور يعشّي عينيَّ الذاهلتين

الملك

«مبتسماً»

عندئذ ، فلتصفعْ نفسَكْ

فلعلك تتأكد
أو دعني أصفعك أنا

الخياط

«مقرباً وجهه»

مولاي
أكرمْ هذا الخَدّ

الملك

لا يغريني وجهك ، بل وجهاكْ
لك وجهٌ تبديه ، ووجهٌ تخفيه
وكلا الوجهين دميم متجعد
لا يرضى لي خلقي أن أصفعَ وجهاً مَرِنَتْ ناحيتاه
على الصفع
لا أصفع إلا وجهاً لم يُصفَعْ من قبل
آه .. لولا ضعفي نحو الضعف البشري

«يدير رأس الخياط في يده»

خذ رأسك ، يكفيني أني أعرف كيف أحركها كالمغزل حين أشاء .. وأقبلْ
ما جاء بكَ اليومْ ؟

الخياط

مولاي

أرسل لي صهري خياطُ أميرِ بلادِ الغربْ

قطعةَ مخمل

بيضاء الطلعةِ ناعمةَ الهدبْ

ما كدتُ أراها حتى .. آه .. كان لقاء يا مولاي

أحسستُ بقلبي في أضلاعي يتوثب

ومددتُ يدي في وَلَهٍ كي أتلمسها لمسَ النسمةِ للأغصان

حين استرختْ فوق الزغب الناعم كفَّاي الراعشتان

داهمني تيارُ الرعدةِ يتغلغل في جسمي المتلهب

ثم تدفق شيء في أطرافي كالدم حين تحركه الحمى

وتفتح باطنها في خجلٍ لملامستي الحذره

إذ نبضت في كفي شَعَراتٌ دافئة تتمدد تحت الزغب الأشهب

فاشتدت بي الرعدة ، وانبهرت أنفاسي الخدره

ملتُ إليها لأقبلها ، فانكمشتْ ، وَهيَ تقولْ :

أنا بكر لم ألتفَّ على ساقَيْ بَشرِيٍّ من قبل

الملك

أو هذا ما قالته القطعة ؟

الخياط

هذا ما سمعته أذناي ، وحقِّكَ يا مولاي

عندئذ قلتُ لها :

إنك أعلى قدراً من أن تلتفي في سَاقَيْ بشريٌ

مخلوقٍ من طينٍ ودماءْ

لا يأتلفُ النور سوى بالنورِ الوضَّاءْ

وسأحملُكِ لمولانا البدرِ الأنوَرْ

وَجَمَتْ عندئذ ، وارتعد الزغبُ الناعم في استحياء

الملك

وَجَمَتْ .. !!؟

الخياط

وحقك يا مولاي

هذا ما كانْ

وَجَمَتْ ، واهتز الهدب الوسنان

ثم أجابت في صوت خجلان :

لكن مولانا ذو تاريخ مرويٌ في العشق

وأنا ساذَجَةٌ لا أعرف شيئاً من ألعاب الخلانْ

قلتُ لها : لا تخشي شيئاً ، ودعي لي هذا الشأنْ

سيداعبُكِ اليومَ مقَصٌ الفنّ

يتحسس أطرافك

ويميل على وسطك

حتى يتدور عطفاك ، ويبرز ما تحت الجلد الناعم من وهج العِرْق

فانسابتْ عندئذ في أقدامي ، وَهْيَ تقول :
شكِّلْني أرجوك
حتى يحظى جسمي المشتاقُ ، وقلبي المنهوكْ
بملامسة الغالي في العشّاقْ
إذ توشك أن تمزِقَني الأشواقْ
لكني جئتُ بها بكراً ساذجَةً يا مولاي
إن راقتكم فاعهد لي برعايتها حتى تنضج
في بضعةِ أيّامْ

الملك

المهنةُ خياط
واللهجةُ لهجة نخاس أو قواد
أرنيها ...

الخياط

أبسط كفيك لها يا مولاي
أنزلها منزل عطف في ظلك

الملك

«وهو يغالب إعجابه»

لا بأسَ بها ، والتصميم

الخياط

هوذا ... يا مولاي

الملك

لكني أوشك أن أنسى في غمرة ثرثرتكْ
أنَّ اللونَ الرسميَّ هو الأزرق

الخياط

ولماذا لا تجعله الأبيضَ يا مولاي
من بدء العام ؟

الملك

تعني أنْ نرجعَ للأبيضْ
فلنأخذ رأيَ مؤرخيَ الرسميْ

المؤرخ

رهن إشارةِ مولاي

الملك

منذ متى كانَ اللونُ الأبيضُ لونَ الدولة ؟

المؤرخ

في أول مائتي عام من حكمك يا مولاي

«هامساً للملك»

أعني في العامين الأول والثاني

كان شعارُ الدولة في ذاك الوقتْ

«إلبس ثوباً أبيضْ»

«يغدو قلبُكَ أبيضْ»

الملك

لِمَ أبدلناه ؟

المؤرخ

دعني أسألْ أوراقي يا مولاي

كنا عندئذ ندعو للنسيان الأبيض

ولطرحِ الماضي في الأكفان البيضاء

ومواجهةِ الأيامِ القادمةِ بفكرٍ أبيضْ

الملك

ماذا اخترنا بعدئذٍ مِن ألوان ؟

المؤرخ

«ناظراً في أوراقه»

اللونَ البني

كان شعارُ الدولةِ في ذاكَ العهدْ

«البس ثوباً بنيّاً»

«تصبحْ رجلاً وطنيّاً»

لِمْ يقدرْ بعضُ العامةِ أن يرتفعوا للحظاتِ التاريخيّه

أن يَدَعُوا الأيامَ الميتة في مثواها ، ويعيشوا للغدْ
وتَمثَّلَ هذا في بعض العجزةِ من فئرانِ الكتبِ الصفراءْ ،
ومنقسمي الشخصيَّه
فدعونا للحقد على الماضي ، لم نَكُ نبغي حقداً أسود
فالماضي أهون من أن يملأ قلباً بالحقد
وطلبنا منهم حقداً بنّياً

الملك

ومتى اخترنا اللون الأزرق ؟

المؤرخ

في القرن الماضي يا مولاي

«هامساً للملك»

أعني في العام الماضي يا مولاي

الملك

قرنٌ ، أو عامٌ ... لا أحد يصدق ما ترويه
من هذا اللغوِ الساذَجِ الا أنتْ
ولماذا اخترناه ؟

المؤرخ

كانت رايةُ دولتنا تنشرها ريحُ السعد على بحر الآفاق
واسم جلالته يبصره الرائي من كل مكان

منقوشاً بحروف من نور وضاء
في ثوب القمر اللبنيْ
أو في أستار السحب الزرقاء
ولذلك كان شعارُ الدولة
« البسْ ثوباً أزرقْ »
« تغدو أقربَ للمطلقْ »

الملك

« للخياط »

طيب .. أرني التصميم
إن راق لذوقي استبدلتُ الأبيض بالأزرق
فلنأخذ رأي وزير القصر

الوزير

« لمن حوله »

هل يدعوني مولاي ؟

الملك

أقدمْ وانظرْ ... شارِكْنا الرأي
هذا الزر .. أليس من الأنسب أن يرتفع من الصدر
حتى قرب الرقبة
ما هذا .. تطريز .. لا .. لا ...

بل إنَّ الأنسبَ أن ينتقل من الجبين إلى الكمين
هذا يجعله أجمل .. ما رأيك .. قل لي .. ما رأيك

الوزير

« بعد طول تمعّن »

الرأي لمولاي

الملك

أيهما أفضل .. الجبين أم الكمين ؟

الوزير

ما قد نطق به مولاي

الملك

أوه ... أنتَ غبي .. عد لمكانك
ذكرني يوماً أن أصدر لك
أمري أن تقتلَ نفسَكْ

الوزير

سأُذكّرُ مولاي

الملك

يعجبني التصميم كما عدّلته
يا ساده
سيكون اللونُ الأبيضُ لونَ الدولة في العام المقبل

ليُنفَّذ كلٌّ منكم هذا فيما يعنيه

وليرسلْ هذا الأمر الملكي إلى كل الكتبة والمحتسبين

أما أنت ، مؤرخنا الرسمي

فليتفتق ذهنُك عن كلماتٍ موجزةٍ نرسلها كشعارٍ للدولة

كلمات تختلف عن الكلمات الأولى

ليكن مغزاها المجمل

أنّا اخترنا اللون الأبيض حتى نَفْنَى سعداءَ محبوبينْ

في حال الصفو الشامل

فلقدْ دمجتنَا النعماءُ المشتركةُ ، حتى صرنا كملائكةٍ بيضْ

نفنى في الذات البيضاء الكليَّه

... الذاتِ البيضاءِ الملكيَّه

المؤرخ

أمرك يا مولاي

الملك

« للخياط »

ماذا تنتظرُ الآنْ ؟

الخياط

لطفكَ يا زينةَ هذا الكون

واجعلْ لطفك يا مولاي

ذهبيَّ اللون

الملك

بل أجعله فضيَّ اللون

يا جلاد

ضع سيفَكَ في كتفيْ هذا الوغد

الخياط

مولاي .. ارحمني

هل أخطأتُ التعبير

لم يك ذلك عن عمد

يشفع لي حسنُ القصد

لا أبغي شيئاً ، أعطاني تقديرك ذوقي أثمنَ ما أبغيه

يعدِلُ عطفك عندي كلَّ كنوزِ الأرضْ

الملك

عَجِّلْ يا جلاد

الخياط

«للجلاد»

رفقاً يا رجلُ برأسي ، دعني أتملَّى بعض الوقت

مِنْ طلعةِ مولاي

«للملك»

هل يمزح مولاي معي ، ما أحلى مزحَكَ يا مولاي
لولا إني مخلوعُ القلب ، غبيٌّ العقلْ
أنظرْ يا مولاي ..
إني أرتعد الآن كقطٍّ مشتعلِ الذيلْ

« يرتعد أمام الملك »

اضحكْ يا مولاي إلى أن يتألق فمك العذبْ
واأسفا لا يضحك مولاي
دلوني يا ساده
هل هو غاضبْ
هل نبستْ شفتايَ بسوء أدَب
فأنا أحياناً يُفلت مني القولْ

الملك

عجِّلْ ... يا جلاد

الخياط

رأسي لك يا مولاي
لو أملك أن أخلعها كحذائي لفعلتْ
طوْعاً لإرادةِ مولاي
لكني أبغي أنْ أعرف قبلَ ملاقاةِ الموتْ
هل هذا غضب من مولاي ...؟

الملك

لا شأن لسخطي أو لرضائي في هذا الأمر

بل هذا من تدبير شؤون الدولة

إني أنزعُ مضطراً هذي الرأس المبتذله

رأساً لا ثمنَ لها ، كي أحمي أغلى ما نملك

وهو جلالُ المُلْكْ

لا أرضى أن تخرجَ من هذا القصر

مملوءاً باطِنُكَ الفارغُ بفقاقيعِ الفخرْ

تتصور أنك ألهمتَ الملكَ ـ أنا ـ تغييرَ شعارِ الدولة

تحكي هذا للحمقاءِ قعيدةِ بيتِكْ

حين يضمكما فرشكما الرثُّ المستهلَكْ

ما بين فواصلِ ألعابِ العهرْ

كي تحكيه للحمقاواتِ الجارات

متدليةً كالمخطة من شباككما المغبر

أو تحكيه أنت لأصحابك في الحانات

حين تدورُ برأسكم الخمرُ

يا جلادْ

خذ منه التصميمَ ، وخذْ رأسَهْ

الخياط

يا مولاي

ارحمْ ضيعةَ أطفالي الخمسه
هم بعضُ عبيدِك يا مولاي الطيب
ارحمني من أجلهم .. يا مولاي .. أتوسلُ لك
أتمسحُ في قدميك ككلبْ .

الملك

آهٍ ... لولا ضعفي نحو الأسره
يدمي قلبي مثلك ، لكن يدعوني الواجب
أن أُنفِذ رأيي
آه ... لولا ضعفي نحو الواجبْ

الخياط

لن أتكلم ... يا مولاي
أقسم أني لن أتكلمْ
بل لن أنطق ما طالَ بي العمر
سأعيش كأبْكَمْ

الملك

واتتني فكره
يا جلاد ... أطلقْ رأسه
وانزع أصلَ لسانِه
من حنجرتِه

حتى تنجو الدولةُ من ثرثرته

اذهبْ ! اذهبْ !

«يخرج الجلاد بالخياط»

آه ... شكراً يا رب

مَنَّ الله علينا بالرأي الصائبْ

والآن

يا أصحابي

كم أنهكنا تدبيرُ شؤونِ الدوله

أستأذنكم أن أمضي للغرف الملكيه

كي ألقى زوجتيَ المحبوبه

كم بَقِيَ على الفجر ؟

المؤرخ

بضعةُ ساعات يا مولاي

الملك

سأعودُ إليكم عندَ الفجرْ

«وملتفتاً للنساء»

أنتن .. اذهَبنَ .. وكلنَ ، ونمنْ

واحفظنَ أغانيكنْ

حتى ظهر الغدْ

أما أنتم

« للحاشية »

فابقوا في هذا الركن إلى أن أهبطْ

قد يخطر في بالي فكره

أو أحتاج إليكم في أمر

« يخفت الضوء في قاعة العرش ، بحيث يبدو رجال الحاشية كأنهم أشباح ، ويتقدم الملك بمصاحبة الموسيقى الناعمة إلى الدرج المفضي للغرف الملكية ويفتح باباً في قمته ، ثم يدخل إلى غرفة نوم الملكة التي تتموج الآن بإضاءة شاحبة .

الملكة ترقد على سرير رمادي الأغطية ، وقد أسندت رأسها إلى وسادة رمادية أيضاً ، وتهدل شعرها على جانبي وجهها الشاحب الذي زادته الإضاءة شحوباً . وتوحي نومة الملكة وهيأتها بأنها مريضة أو متعبة .

لا تدهش الملكة لدخول الملك ، ويبدأ الملك في التخفف من بعض ملابسه ، ثم يجلس على مقعد مجاور للسرير ، ويتغير صوته الذي عرفناه في المشهد السابق إلى صوت رقيق ودود » .

الملك

معذرةً ، يا نجمي الأوحدْ

يا كوكبِيَ الغافي في علياثه

هل أبطأتُ قليلاً ، شغلتني عنك أمور الحكم

لكن ، ها أنذا إذ أدفع مقبض هذا الباب الموصد

أحمل من بحر الأنواء المزبد

وكأني تحملني ريح هادئة سجواء

فوق الكفين الناعمتين

كي أغفو في شطآن بحيرتك الخضراء

عينيك الطيبتين الرائقتين

إيهٍ ... ما أجمل أن ينفض ظهر مثقل
في نقلةِ ساق أو لمحةِ عين
ما يثقله من وطأة أعبائه
هل أغفيتِ قليلاً ... هل نامَ الطفل
أخشى أن يفسده التدليلُ الزائد ... ،
فالتدليل كحلوى السكر ، يُفسد ما يتجاوز منه الحد
ليلاً ونهاراً ، منكمشٌ تحت جناحك
لِمَ لَمْ تدعيه بعض الوقت
لمربية أو حاضنة من خدامك
بس ! بس !
اضحكْ ... اضحك ... يا طفلي الأدرد
اضحكْ ... حتى يتفتح في خديك الورد
اضحك ! بس ! بس ! اضحك
ما أحلى ضحكتك العذبهْ
شبعان وسعيد ، هل بَلَّلَ ثوبه

«يتحسس ثياب الطفل الوهمي»

أوه ... لا تبك ... يتغَضَّنُ وجهك إذ تبكي
يصبح وجهَ عجوزٍ مجهد
هل أتعبَكِ اليومَ كثيراً

الملكة

لا ، بل كان رقيقاً كالنفس المتَهدج
يستغرقُ في النوم ، إلى أن تندى جبهته بالنور المتموج
ثم يفيق ليتوفز كالنورس فوق الموج
أو يغرز في صدري إصبعه الأهوج
كي يسألني حاجته مِنْ زاد الحب
أو يرشفَ ما يكفيه من ذوب القلب
حتى إن شَبعَ استرخَى في رقه
الرقةُ فيه هي الطبع الغالب ...

الملك

أخَذَ الرقة عن رقتك الحلوه
في الوردةِ بعضٌ من طبعِ الغصن

الملكة

لكني أخشى أحياناً من نظرةِ عينيه
ينظر أحياناً مثلك
نظراتٍ ملأى بالشك المتعالي

الملك

هو أيضاً طفلي
أرجو حينَ يحينُ الوقتُ ، وينهضُ من حضنك

كي يمضي تحتَ جناحي
أن يأخذ من طبعي ما أعطيه
حتى يغدو مثلي

الملكة

لا ... مثلك لا يتكرر
إني أرجو أن يصبحَ نفسَه
هل تعلم أني أتخيَّله أحياناً يصعد تلَّ العُمُرْ
شاباً في رائعة الظهر
شمساً صافية لا يحجبها غيم
تخرج للدنيا ، تهمِي نوراً لا ينفد
يتجدد إذ يتبدد
وجهاً مبتسماً دوماً ...

الملك

لا يقدر أحد أن يبتسمَ دوماً

الملكة

لك حق
هو أحياناً يتقنع بقناع القلقِ الشفافْ
لكن لا يحمل موجدةً ، أو يكتم لومَا
فهو مليء بالغفران كما تمتلئُ النحلةُ بالشهدْ

ولهذا لا يعقد هذا القلقُ الشفافُ له وجهاً ، أو يطفئْ فرحه

« للطفل الوهمي »

إيهِ ... هل تدري أنّا نتحدث عنك

... لا يعجبك حديثي

ولهذا تدفع في جنبي هذا الكعب المتورد

« تقبل كعب الطفل الوهمي »

الملك

حقاً ... ما أجمل كعبه

يوماً ما سوف تدوس بهذا الكعب رقابَ رعاياك

يا طفلي الملكيْ

« يقبل كعب الطفل الوهمي »

الملكة

بل سيكون مليكاً محبوباً ورحيما

الملك

تعنينَ ... يكون ضعيفاً مهزوما

لعبةَ حاشيته

سخريةَ رعاياه وعبيده

اسماً يتدلقُ في الحاناتِ مع الخمر

يلقى في الطرقاتِ مع الفضلاتْ

يشتعل به جمرُ الأرجيلاتْ

هدفاً يتلقى تعليقاتِ الدهماءِ الساخرةَ الوقحه
الكاشفةَ لسوء القصد
لا ... سيكونُ إلهاً في صورة بشريّ
سأعلمه أن ينظر متّهماً في عَيْنَيْ من يَمثُل قُدّامه
ويطيل التحديق إلى أن تتخاذل أعضاء الخصم ،
فيهوي كي يلثم قدميه
يسأله صفحاً عن ذنب لمْ يفعله

الملكة

هل قلت ... الخصم
لا أدري لم يصبح للملك خصومٌ إن أحسنَ لرعاياه

الملك

كل الناس خصوم للجالس في القمه
حتم أن آخذه تحت جناحي إن صار إلى سنِّ التعليم
لأعلِّمَه الحكم

الملكة

لا ... لا ...
لن تأخذه مني ...
ماذا يبقى لي كي أحيا ؟
ولماذا أتنفس إن لم تلمع أنفاسِي المبلوله

في جبهته المصقوله
كيف أعيشُ إذا لم يتحسسني في الليلْ
وَتُفَتِّحُ كفاه زهرةَ أيامي المقفوله

الملك

لكن ... لن يتعلمَ من قربك شيئاً

الملكة

سأعلِّمه الحكمه

الملك

كمؤرخيَ الرسميِّ !

الملكة

والشعر

الملك

أتنشِّئه كي يصبح صعلوكاً أم ملكاً ؟

الملكة

ملكاً إنساناً
لم تنبئني أبداً عن باكر أيامك
هل كنت تحبُّ أباك وأمك ؟

الملك

بالطبع !

لكني حين غدوت صبياً مملوءاً بخيالات المجد
أنكرت على أمي وأبي أشياء كثيره
أنكرتُ تواضعَ ما طلباه من الدنيا ،
فقرهما المتجملَ بالكتمانِ ، المتقنعَ بالزهدْ
كانا نوعاً لا أهواه من الناس
النوع المتردد
كانا بشراً عاديين

الملكة

هل كنت تحبُّ الموسيقى !؟

الملك

ما زلت أحب الموسيقى

الملكة

أية موسيقى ؟

الملك

موسيقى الرقص .. وموسيقى الإستعراضات الحربيه

الملكة

هل تسمع موسيقى الآن ؟

الملك

من أين تجيء ؟

الملكة

أنا أسمعها ... أتعرفها الآن

إسمعْ ...

هذي موسيقى الليلِ المسحوره

مرحى ! مرحى ! منذ زمان لم أسمعك

هجرتني حتى خلتُ كأنَّ لقاءاتِ الزمن الماضي

كانت في أرض الأحلام المطموره

لكن ها هي ذي تتقاطر وافدةً من خلل الشباك

في مركبةٍ من أنوارِ البدر الفضيَّه

انظرْ !

هذي أنغامُ الشجنِ الزرقاءْ

تتعلق في الأستارِ المسدلة هناك

هذي أنغامُ الفرح الورديَّه

تتراقص حولَ المصباح الشاحب

انظر ... هذا نغم هاربْ

نغم طفل لم يكبرْ بعد

الحَق بصحابِكَ يا نغمي الطفل .. الحقْ بصحابِكْ

حتى لا يدهمك الصمت ، فتفنى فيه

إحذر ... كاد الصمت يصيبك

أدخل في الحلقة وارقص يا نغمي الطفل

حمداً لله ... التأم الشملْ
ما أحلى رقص الأنغام الزرقاء
ذائبةً في خصر الأنغامِ الورديّه
ضجِّي ، وارتفعي ، وانطلّقي نحو القمه
يا جوقةَ موسيقى الليلِ المسحوره
أيتها الأنغامُ المحبوره
اسمحْنَ لصوتي المقرورِ الواهنْ
أن ينضم لجوقتكن .. ويرقصَ معكن

«تغني غناء ميلودياً جميلاً ، وتنغلق عيناها في شبه حلم»

الملك

خففي من صوتك ... أرجوك
قد يتزعج الطفل

الملكة

الطفل .. !
إنك تدري أنا لا نملك طفلاً
انظرْ .. هذا فرشي خالٍ لا تتحرك فيه إلا أطراف الوهمْ ..
ساقا الوهمِ .. ذراعا الوهمْ
هذا طفل من كلمات
أمَضَتْ بك اللعبة حتى هذا الحد
ما أغربَ ما صنعته السنوات بنا ، نمت الكلمات إلى أن صارت

أشباحاً وظلالا
لكنْ ما أصعبَ أن تصبح هذي الكلمات الثلجيه
مخلوقاً من لحمٍ دافئْ
ليس لنا طفل !
ليس لنا طفل !
«تبكي»
الملك
«مستسلماً برقة»
حقاً ، يا نجمي الأوحد ، يا كوكبيَ المتفرد
ليس لنا طفل ! لكن ماذا نصنع بالطفلْ
حرمتنا إياه الأقدارُ ، فعشنا طيريْنِ طليقيْنِ سعيديْنْ
وخلَقْنَا هذا الوهمَ لتزدادَ سعادتنا ... تتجدد
الملكة
طيّرانْ !
لكن ... ماذا أفعل بجناحي ؟
الملك
بل غصنان خضيرانِ رقيقانْ
الملكة
غصنانْ .. !
لكن ... ماذا أفعل بثماري ؟

الملك

يا كنزي المكنونْ

كنا سعداء بهذا الطفل الوهميْ

الملكة

طفل من يأس

الملك

كنتُ سعيداً به

الملكة

وأنا كنتُ سعيده

حتى دهمتني موسيقى الليل ، فعرَّتْني من أوهامي

لا أقدر إلا أنْ أتعرى في حضرة موسيقى الليل

يا سيدتي موسيقى الليل

ردي لي طفلي !

ردي لي طفلي !

أو فاعطيني طفلاً آخر

«تبكي»

دعني أتخذ عشيقاً

الملك

ماذا ؟

الملكة

اخترْ لي مَنْ ترضاه

اختر لي من يعطيني طفلاً

لن أنظر في صفحةِ وجهه

لن أتأمل في عينيه أو أتحسس جبهته أو شعره

سأكون كسولاً جافيةً كالأرض الوعره

الملك

لا ... لا ... هذا ظلمٌ وجنونْ

الملكة

اختر لي من يعطيني طفلاً

أو دعني أتشرد في أنحاءِ الكونْ

«تقوم من فراشها»

الملك

هذا ظلم ... ظلم

إنك كنزي وامرأتي .. ظلي ومقيلي .. مأوايَ وبيتي

تميمةُ حظي الطيب ، برج السعد الذهبيْ

حين رأيتُكِ الليلةَ من سنواتٍ عشرْ

خارجةً من جوف النهر كنهر فضيْ

عاريةً إلا من ظلٍّ غصونِ الصفصاف المحنيْ

وسألتك : ما مهرك يا سيدةَ الأقمارِ الألفْ

وأجابت شفتاك بصوتٍ مرهفْ

مهري أن تهواني .. أن تعطيني مملكةً لا يدركها الوصف

في تلك الليلة بالسيف استحوذت على مهرك

مملكةً تمتد على جنبي نهرك

وأخذتك مكرَّمَة في قصري

وحجبتك لا يمتد إلى أدنى ثوبك طرف

أعطيتك مملكة مهرا ...

الملكة

لكنك لم تقدر أن تعطيني طفلاً

تعطيني الماضي ، لكن لا تعطيني المستقبل

الملك

حقاً ... لم أقدر

الملك القادر لا يقدر أن يهب امرأة طفلاً

الملكة

اختر لي من يملأ بطني الآن

الملك

يملأها الآن ، ويملأ بطنَ الأرضِ غداً

الملكة

ماذا تعني ؟

الملك

أقتله حينَ يُتمُّ مهمّتَه الملعونه

الملكة

لا .. لن تقتلَ رجلاً أعطاني زهره

أطلِقْه يضربْ في الأرض

الملك

هذا شأني وحدي ، قولي يا كنزي الأوحد

هل يعنيك الطفلُ كثيراً ... ؟

هل نصبحُ أسعدْ ؟

هل تَدَعينَ فراش الوحدةِ والسهدْ ؟

الملكة

سأخاصمُ هذا الفرشَ الراكد

بل إني سأسير وأرقص .. أرقص في سيري

بل إني سأطيرْ

سأحبك آلافَ المرات

آلافَ الألوانِ من الحبْ

سيفيضُ حناني حتى يملأَ أيامَكَ بالعطر وبالنورْ

هل تأمر لي بالطفل ؟

الملك

أتأمّلُ في الأمرْ ..

«الملك يجلس عليه سيماء الإنهاك البالغ ، ينظر أمامه ، ثم يقول محدقاً في الفراغ» ..

هل جئتَ الآن ؟

كم كنت أريدك !

الملكة

مَنْ .. الطفل

الملك

لا .. الموت

في موعدك تماماً ... يا طير الموت الأسود

ادخلْ في أعضائي مختطفَ الخطوة مسروقا

ها أنذا أفتحُ لك صدري ، نَقِّرْ حتى تجدَ طريقا

يا سيدتي . استدعي وجوهَ الدوله

«الملكة تهب فائرة الخطى ، وتمد يدها إلى جرس فضي معلق في جانب السرير ، وتدق به ثلاث دقات ، يصعد وجوه الدولة ، ويقفون صفاً ، وهم يدعكون عيونهم طرداً للنوم» .

الملك

«وهو يقف مرهقاً»

يا سادتيَ وجوهَ الدوله

أدّوا نحو مليككم الراحل

آخر ما هو أهلٌ له

من شاراتِ التكريم

فلقد هَبَطَ إليه من أفقِ الأقدارِ المربَدْ
طيرُ الموتِ الأسودْ

«وهو يتلوى»

آهٍ .. لا تنقرْ عيني
أرجوك .. لا تدفعْ في صدري هذا المنقارَ الشائكْ
ادخلْ عذباً ورقيقاً ، فأنا أتأهَّبُ لك
شكراً .. ها هو ذا في رأسي يضربُ فيها بجناحه
ها هو ذا في سرة بطني
ها هوذا منحدرٌ في ساقي
هل يبغي أن يخرج من ساقي .. لو يتركني هذي المره
فلقد طالَ عذابي المُهلك

«للوزير»

ناشده أن يخرج يا سيدْ

الوزير

«مقعياً تحت قدمي الملك يحاول أن يشد الطائر» .

مولاي !

الملك

آهٍ .. عاد ليصعدَ في باطن جسمي
آهٍ .. ما أوجعَ خفقَ جناحيه ، ما أقسى نقرةَ منقاره

ما بالكمُ ، تقفون كأنكمُ أشباح ..
أنت بحكمتك المأثورة .. هذا الرجل بأشعاره
أنت بأدعيتك وتعاويذك
فليفعلْ أحدٌ منكم شيئاً
هذا أمرٌ ملكيٌّ
فَلْيَذْبَحْ طيرُ الموتِ الأسودْ

الجلاد

« مستلاً سيفه »

مولاي ... أين ؟

الملك

لا .. لا .. لا حاجةَ للسيفْ
قُضِيَ الأمر
لكني أتوسل لله وللشيطانْ
أن يتمدد في جسدِي بهدوءْ
آهٍ .. نام الطائر في قلبي
فدعوه ، لا يزعجه أحدٌ منكم
حتى لا يخفقَ بجناحيه ، فيخضَّ دمائي
شكراً للموتْ
إذْ خلّصني من وطأةِ أعبائي

« يسقط ميتاً »

الملكة

«تقف في وسط الغرفة ، بجوار جثة الملك ، وتنظر إليها كأنها تريد أن تتأكد من موته ، ثم تستدير عنها ، وتقول كأنها تخاطب نفسها»

سأنالُ الطفلْ ...
سأنالُ الطفلْ ...
سأنالُ الطفلْ ...

«ستار»

الفصل الثاني



المنظر الأول

« الستار مسدل ، أمامه إلى يمين المسرح الكوخ والنهر ، تخرج النساء الثلاث من القصر » .

المرأة الأولى

سيداتي سادتي

تختلف عادات الناس تجاه الموت من بلد إلى بلد ، ولسنا نريد أن نصدع أدمغتكم بدرس في علم الأنثروبولوجيا الذي حل عند المتحذلقين في هذه الأيام محل السيكولوجيا أو علم النفس ، وهو العلم الذي يبحث في عادات الإنسان وشعائره ، ونقول لكم مثلاً إن الهنود يحرقون موتاهم ، وإن بعض الأفريقيين يأكلونهم ، واننا نزفهم إلى الموت كأنهم عرسان في رحلة شهر العسل ، ولكننا نريد أن نقول لكم انه كانت لهذه المدينة التي نتحدث عنها عادة غريبة بعد لقاء الموت .

المرأة الثانية

كان من عادة أهل هذه المدينة أن يُلبسوا الميت أزهى أثوابه ، ويمددوه على فراشه الوثير — أو الفقير — أربعين يوماً كاملة يطوف فيها أصحابه وأحباؤه حوله ، ويناشدوه بأرخم العبارات وأكثرها

لطفاً ورقّة أن يستجمع قواه الخائرة ، ويطرد من جسده عصفور الموت الأسود .

المرأة الثالثة

وهم يعرضون عليه عندئذ كل ما يحب في حياته من طعام وشراب .. وثياب ورياش ، ولهو ومتعة .. فهم أحياناً يعرضون عليه وجبته المفضلة أو خمرته أو أفيونه ، أو سرج حصانه أو ملابس امرأته ، لعل هناك أمنية ما زالت في نفسه ، يعينه الطمع في الاستحواذ عليها مرة ثانية على أن يستجمع قوّته ، ويطرد الطائر .

المرأة الأولى

وكان الفقراء بالطبع لا يقومون أبداً من نومهم ، بل لعلهم يزدادون استغراقاً في الموت كلما عرضت عليهم حياتهم الماضية ، أما الملوك ... فمن يدري .. فإن مباهج حياتهم كثيرة .

المرأة الثانية

وسنرفع الستار الآن عن الملك ممدداً في فراشه ، ولا نريد هنا أن نفزعكم بمنظر رجل ميت ، فنحن نعلم أنكم جميعاً تخافون الموتى أكثر مما تخافون الأحياء .. وهذا خطأ كبير منكم ... ولكننا لا نريد هنا أن نصحح طبائعكم ونعلّمكم التعقّل وحسن التفكير ، فليست هذه مهمتنا ، ولعل أوانها أيضاً قد فات ، إننا نريد فقط كما قال لنا مدير المسرح نقلاً عن المخرج عن المؤلف نقلاً عن أرسطو أن

نحاكي ما حدث ، وقديماً قال أرسطو ان غاية الفن هي المحاكاة .

المرأة الثالثة

وليست لفظة المحاكاة لفظة هيِّنة ، فقد حيَّرت النقاد كثيراً ، فتساءل بعضهم هل الفن يطابق الحياة .. ولكن الحياة عشوائية بينما الفن منظم ملموم ، والحياة كثيراً ما يكون معناها غائماً بينما يحمل كل عمل فني معناه .. إذن فإن كلمة المحاكاة كلمة قاصرة ، أو هي ترجمة غير موفقة لكلمة اغريقية .. والكلمة الاغريقية لا أعرفها بالطبع ولا يعرفها أحد في بلادنا على الإطلاق لأن كل الذين يزعمون أنهم يعرفون الاغريقية في بلادنا لا يعرفون هذه اللغة الميتة ، والاغريقية بالمناسبة تختلف كل الاختلاف عن اللسان الرومي الذي يتحدث به أهل اليونان الآن ويعرفه بعضكم من معاشرة خادمي المقاهي وسماسرة البورصة وغيرهم .

«بدءاً من حديث المرأة الثالثة يرتفع الستار ، ويعلو صوت الموسيقى بلحن جنائزي تشوبه نبرة ساخرة ، ونرى الملك ممدداً في فراشه في الطابق العلوي من المشهد ، وقد جلست الحاشية على درجات المدرج في تأمل وانتظار حزين ، تقف النساء صفاً كالدمى ، ثم يتغير إيقاع الموسيقى بالتدريج من المارش الجنائزي إلى الرقص ، وتبدأ النساء رقصهن وغناءهن» .

النساء

نناشدُ النائمَ النبيلْ
بعهدنا الغابر الجميلْ
أنْ يهجرَ النوم ، وأنْ

يعودَ من برج الأفولْ

فنحن لذّات الحياة ، نحن دفء الرقصِ والغناءِ والتقبيلْ

نحن الدم الساخن في عـروقها ، ونحـن ريقُها البليـلْ

نحـن قواريرُ العطـورِ إنْ كشفتها أثارت الميولْ

لمتع الحياه

الرقص والغناء والتقبيلْ

الوزير

واأسفا ... عيناه مغلقتان

لا يبصركنْ

لا أدري بِمَ أنصحكُنْ

المؤرخ

فليتحدثن إليه عن قرب ، قد يسمع

لِتُذكره كلٌّ منهن بشيء من فتنتها

مما كَشَفَتْ بين يديه في خلوتها

الوزير

فليصعدن إليه ، واحدة إثر الأخرى

الشاعر

أخشى أنّا نتعلق بالوهم

لم أبصرْ طيلة عمري طيراً هجر الجسم

القاضي

شكَّاك ملحدٌ

مات البستاني فعربدت الديدان

يا فتيات

اصنعنَ كما قال وزيرُ القصر

أنتِ ...الأولى

فلعلَّ جلالته ما زال يراوده شيء من أنسك

يتمناه الآن ويتشهاه

عندئذ قد يفتح فه كي يخرج منه الطير

المرأة الأولى

«تصعد على السلم ، وهي ترقص ، متبوعة بنظرات القاضي ، حتى تقف أمام الملك الميت»

هل تذكرني يا مولاي

كنتَ تسميني في خلوتنا بالريح المرحه

هل تذكر إذ كنت تلفُّ ذوائبيَ الذهبيةَ في كفيك

ثم تقوم على ظهري ، وكأني مُهْرَهْ

وتدلي ساقيك

كنا عندئذ نترجرج بالضحكات المرحه

قُمْ ستجدني أسرع من لمحة عينيك

الوزير

«يصعد لينظر نحو فم الملك ، ويعود»

لم تفلحْ رغم مهارتها ... هيًا أنتِ
لا ... بل جارتُكِ السمراء
فلقد ماتَ الملكُ ، وفي نفسه
شيء من ناحيتك

المرأة الثالثة

«تصعد ، وهي ترقص متبرعة بأنظار القاضي ويديه»

هل تذكرني يا مولاي ؟
كنتَ تسميني نَهرَ النارِ المسجور
وتقول :
لا يطفئْ غلةَ هذي المرأةِ إلا جنيٌّ مسحورْ
كنتُ أضمُّكَ حتى تتخلع أعضاؤك في عطفي
حتى تنحلَّ كما ينحل الذهبُ المصهورْ
عندئذ كنا نضحك يا مولاي
قمْ ستجدني مجمرة محرقة ...
تلقى فيها الملل الملكي

الوزير

«ناظراً في فم الملك»

لَمْ تتحرك شفتاه

الشاعر

أنتم تدرونْ

لم يك مولانا يهوَى المرأةَ إلا كهوايته للعطر

يُنشقه لكن لا يمسكه في أحناء الصدر

كان جلالته يجهدُ أن يشحذ سكينَه

لكن لا يقطع بالحد المفلول سوى بعض الوقت

الوزير

اصمتْ .. أنتْ

يوماً ما سيهب الملكُ لتأديبِكْ

المؤرخ

كان الملك ولوعاً بالجوهر والحَلْي الذهبيّ

فلنعرضْ بعضاً من مقتنياته

أو نُسمعه وسوسةَ قلاداته

الوزير

«للمنادي»

قُمْ ... هات الصندوق

القاضي

ائتن ... ارقصنَ .. ارقصنْ

اهززنَ السلم بالرقص المتفنّن

فلقد كان يحب تتبع بقعِ النورِ المتلونْ

إذ تتألق في بشرتكن ، كما يتألق جلدُ الثعبانْ

أنتِ اهتزي كالسمكة في الماء

أنتِ التي كالجسر إذا التف على النهر

حسن .. أنتِ .. انفرجي .. وكأنك تتلقينْ .

أضواء جلالته ... انضمي ... وكأنك تعتصرين

أمواجَ الفرحةِ بالوصل الملكي

هل تبصر يا مولانا ؟

«حين تستبد بالقاضي النشوة ، يدخل المنادي»

المنادي

صندوق الجوهر .. هر .. هر ..

الوزير

«يأخذ الصندوق ، ويفتحه ، ثم يصعد إلى الملك ويأخذ في استعراض محتوياته أمام عينيه ، ويحاول أن يجعله يلمس بعضها بيده الميتة ، ثم يأخذ في الخشخشة مع صوت الموسيقى والرقص» .

ذهب ... يا مولاي

لا شيء يرنُّ رنينَ الذهب الوضّاء

ماسٌ كالنور المتجسدْ

لا يعدِلُه في ومضته إلا ذاته

ولآل كالقطر المتجمد

ويواقيتٌ كالشعل الحمراء

انظرْ ... يا مولاي

«تدخل الملكة في ثياب مهلهلة ، يبدو عليها الاعياء والذهول ، تتوقف الموسيقى ، ويقف الجميع منتصبين» .

الملكة

أغفى الطائر في ناعم قشه

بالله عليكم ... بالله عليكنْ

لا توقظن الطائر حتى يدفئ عشه

يا هذا الطيرُ الفضيْ

إني أحجب عنك الريح ، فنقّرْ ما شئتَ على الغصن

يا هذا الطير الفضي

إني أحضنك بعينيَّ ، لأبعث فيك الأمن

فليتمددْ ريشُكَ ، ولتغفُ سعيداً مقرور العين

ما تلمسه يتحول جمراً ، ثم رماداً ، ثم يهب نسيم الليل الواهن

يذروه في أنحاء الكون

الويل لمن يوقظ هذا الطيرَ النائم

سيكسر باب الزمن الموصود ، ويحطم أقفالَهْ

حتى تخرج من سرداب الماضي قِطَعُ الظلماتِ المختالَهْ

ويعود الأموات إلى الطرقاتِ ليختطفوا الكسرة من

أسنان الأحياءْ

ستحل سنينٌ متتابعةٌ جدباءْ
يصبح فيها القمح قشوراً لا بذرةَ فيها
وسيتخثر لبن الأمِّ بثدييها الممصوصينْ

« متجهة إلى الوزير »

هل تعطيني غصناً من أشجارك يا سيد
كي أصنع منه طفلاً ؟

الوزير

« بعنف ، وهو يدفعها »

مولاتي .. لِمَ غادرتِ القصر ؟
عودي للغرف الملكية
لم يك يرضي مولانا أن يبصرك العامةُ والدهماءْ
حتى نحن ... الكبراء
كنا نغضي أعيننَا حين نراك ، ونخفي من صفحتها الملساء
ما قد يلمعُ فيها من تعبير أو إحساسْ
هرباً من غضبته الناريه
عودي .. عودي .. يا مولاتي

الملكة

سحقت أقدامُ الإعصار الرعناء
خضرةَ أشجارك

لتضلَّ طريقك في الصحراء الجرداء
وليتلون رأسك بتراب الأرض المغبره
وليتمزق ثوبك حتى يحسبك المارة
شحاذاً يستجدي كسرةَ خبزٍ سوداء

«ملتفتة للمؤرخ»

هل تكتب سطراً من تاريخك في جسمي يا سيد
حتى أصنع من أحرفه طفلاً ؟

المؤرخ

رباه !
هل يصبح آخرُ فصلٍ في تاريخ الملكِ الميتْ
أنَّ الملكةَ قد جُنَّتْ ؟

الملكة

فليتشتت عقلك ، حتى تهرب منك الأفكار ، كما يهرب صيد
من صيادٍ لعنَتْه آلهةُ الغابات
وليعتمْ قلبُك حتى تتدفأ بالماء وتروى بالنار

«للقاضي»

هل تلتف عليَّ ثيابك يا سيد
وتُخلِّفَ لي أطرافاً من ثوبك
كي أصنع منها طفلاً ؟

القاضي

مولاتي ... عودي للغرف الملكيه
لا تنتهكي حرمةَ مولانا في موته

الملكة

لتكن بوابة بيتك من قش ذابل
حتى يغدو بيتك منتهكاً كالطرقات المسحوقة بالأقدام
وليسفحك رمادُ الليل
حتى يصبح وجهُك وجهَ غرابٍ أقتم

الشاعر

«مبادراً»

فلتعبرني عينك .. يا مولاتي
أنا مثلك لا يرضيني هذا المشهد
لكني لا أملك إلا أشعاري ... كلماتي
كلماتي ــ يا مولاتي ــ لا تصنع طفلاً

الملكة

إنك ــ فيما يبدو ــ ستكون صديقي
قل لي :
هل كنت تحب أباك وأمك ؟

الشاعر

أعطيتهما ذاكرتي

الملكة

هل كنت تحب الموسيقى إذ كنتَ صبياً ؟

الشاعر

كانتْ بيتاً من ظلْ .

ما بينَ صحاري الصمتْ

وجبالِ الضوضاءْ

الملكة

هل تسمع موسيقى الآن ؟

الشاعر

أعرف لهجتها بين اللهجات ، إذا ازدحمت في أُذني الأصواتْ

أعرف مقدَمَهَا إذْ أستنشِقُهَا حائمةً في الأجواء

بل إني أستدعيها ... حين أشاءْ

«يغني نغماً رقيقاً كأنه يحاكي به ما يسمعه وحده»

الملكة

حدثني عما تسمع

الشاعر

أسمع موسيقى تتحدث عن أشياء عادية

وفريدة

عن أشياء تحدثُ للناسِ جميعاً

لكن لا تحدث إلا مرة

«يسكت»

آهٍ معذرةً ... الموسيقى كفّت عن نجواها إذ وجدتني غراً أبله

أبغي أن أحصر ما لا تحصره الكلمات

في كلماتٍ بلهاء

لكن ... ستسامحني بعد قليل

الملكة

أحسستُ بأنكَ ستكون صديقي

هل نجلسُ بعضَ الوقت ؟

الشاعر

أمرك يا مولاتي

«يجلسان في ركن ، بينما ينشغل الآخرون بمحاولة إيقاظ الملك ، حتى يغلبهم النوم فيناموق وقوفاً» .

الملكة

هل لك طفل ؟

الشاعر

أحمله في صرّةِ أحلامي يا مولاتي

حين أريد .. أفك الخيط

الملكة

هب أنك تحمله بين ذراعيك

الشاعر

لن أحملَ طفلي بين ذراعي

بل أطلقه في شمس الغابات وأنسام النهر

حتى يتفجَّر بالمعجزة الخضراء كما تتفجر آلافُ الأشجارْ

الملكة

هل ستعلمه الحكمةَ والشعر ؟

الشاعر

ستعلمه الحكمةَ أسرابُ الطير

ويعلمه النهرُ فنونَ الإيقاع

الملكة

هل جئتَ معي ؟

الشاعر

في أي سبيل يا مولاتي

الملكة

في أي سبيل لا يسقط فيها ظلُّ الموتِ على أثوابِ الأحياء

الشاعر

أنا لا أقدر يا مولاتي

أنا جزء من هذا المشهد

الملكة

بل تقدر
نَفِّضْ عن أثوابك هذي الأتربةَ السوداء

الشاعر

لا أقدر يا مولاتي ، فلقد فات الوقت
إني أخشى أن أنزل في كون يمضي فيه النورُ طليقاً
لا يتكسر فوق الجدران الصماء
فلقد عشتُ زماناً بين مرايا القصر العمياء
لا أقدر أن أتنفسَ خارج هذي الأركان الجهمه
أنفاس يكتمها ما في العالم من عطر ونقاء
بينا تخرج من جوفي الأنفاسُ النتنة في هذا القبر
ناشطةً متلويةً كالديدان النهمة

الملكة

هيا ... هيا نخرج كفاً في كف
وستألف أجواء النور المتألق
وسينزف من تحت الحجر الجامد ينبوعٌ داكنْ
يتدفق بالحقدِ وبالخوفْ
حتى تتشقق قشرتُه السوداء الصلبه

فيفيض النبعُ صفاءً ومحبه
ماذا لك في هذا السجن ؟

الشاعر

مالي في جيبي
مزمارْ
وكتاب فيه بضعةُ أشعارْ

الملكة

فلتمضِ معي

الشاعر

مولاتي ... هل تدرين ...
شيء في نفسي ينهار
وكأني تتخاطف روحي آلافٌ من صورِ الأحلامِ المرة والأحلامِ الحلوة
تتابعُ في عينيَّ المرهقتين دوائرُ من دخان
لا أدري ... انفتحتْ في غرفةِ نفسي في وقت واحدْ
أبوابُ الماضي والحاضر والمستقبل
كل منها يبعث في نفسي شيئاً كالإعصار
تنهار على رأسي عشرُ سنين من عمري الآن ،
كما تنهار الموسيقى الضحْلة في الآذان .. ،

كما تنهار ثيابُ المومس في قدميها العاريتينْ
اذكر ذلي حين شراني الملك بكأسٍ مره
كي يمسخني ، ويقزمني ويغضنني ويكورني
حتى يجعلني حبَّةَ خشخاشٍ منعشةً تحت لسانه
من ذاك اليوم
وأنا وجل خاو من داخله لا يقدر أنْ يصلبَ ظهره

الملكة

ماذا تذكر أيضاً ؟
فَرِّجْ عن نفسك

الشاعر

أذكر ذلي حين رأيتك أولَ مره
كنتُ كسيراً أختلسُ النظره

الملكة

حين أتى بي الملك إلى قصره

الشاعر

لا بل عند النهرْ

الملكة

قبل وقوعي في الأسرْ

الشاعر

أبصرتُكِ واقفةً تلقينَ إلى الشمس حبالَ الشعر

وكأنك ملاح يستدني مركبة الشمس إلى شاطئها الأخضر

قلتُ لنفسي : هذا حُسْن لا يتملكه شاعر

ما أجدره بمليكٍ قادر

أحببتك ، واستكثرتُ على نفسي حبَّك

الملكة

وتمنيتَ لي الأسر

الشاعر

لكني كنت أعيش لهذا الحب

أحياناً ، كنت أراكِ ، وأنت تمرين كطيف في عينيْ وسنان

بين الغرفِ الخافتةِ الأضواءْ

فأمد أصابعي المحسورةَ من بعد كي تلمس ما حولك من أجواءْ

لكنك تنفلتينَ وراء الأستار الدكناءْ

كنت سراباً يلمعُ في عينيْ ضالٍ في الصحراءْ

ظمأ للروح ، وريٌّ موهوم للعينين

وتجمد حبي ، لم يتوقفْ أو ينزفْ

ظلَّ حبيساً في قلبي المنكسر الخائفْ

كدماءِ الموتى في الأوعية الزرقاءْ

الملكة

هل تبغي أن تبصِرَني ثانيةً عند النهر ؟

الشاعر

أيعودُ الزمنُ الميت يا مولاتي ؟

الملكة

بل يسقط عن أهداب العينْ

فلنمضِ الآن

الشاعر

أودع أصحابي

الملكة

وَدِّعْهُمْ

الشاعر

أستودعكم يا أصحابي ..

هبُّوا ... هل أنتم موتى .. هل متم مثله ؟

معذرةً .. أنتم تدرون

كانت هي حبي المجنون

أشكركم إذ صنتم سري المكنون

المتعقِل رغم إرادته إذ يعطيه الخوفُ تبصره إن أعطاه الوجدُ جناحَه

كنت أناجيها في نومي المتوفز

وأحن إليها حتى تنخلع الأعضاءْ
ما بين شهيقِ الرغبة وزفير العجزْ
أتمنى أن أمسحَ قدميها بالشعر كما تمسح بالزيت العطري
أقدامُ القديسينْ
فوداعاً يا أصحابي
فلقد عشنا بعضَ الزمن الميت جيراناً
يرعانَا نفسُ اللحّاد المجنون ، ونلبس نفسَ الأتربة المتجمدة ،
ونقتسمُ فطيرَ الصدقاتِ الملعونْ
والآن ... ها أنذا أمضي
هي تدعوني أن أتبعها
طفلاً لا أملك أن أعطيها
فأنا خاوٍ مذ بعتُ الحريةَ بالخبز
لكني أملك أن أجعلها تنهض في بِشْرْ
وتعود إلى النهر ، لتلقي للشمس حبال الشعر
وأنا أنظرها عن قربٍ كالمفتون

الوزير

قف يا مجنون
سلبَتْه عقله

المؤرخ

وأأسفا للمسكينْ

القاضي

ردوه بالقوَّة

المؤرخ

يوم يعود الملك إلينا سيعاقبه كعقاب سليمان الهدهد

الشاعر

هل سيعودُ الملك اليكم ؟

الوزير

طبعاً سيعود

الشاعر

لا ، فالملك تدلى ميتاً إذ أبصر ذاتَه
في مرآةٍ صافية ذاتَ مساء
هي عينا هذي المرأة
هل تدرون ...؟
ماذا كان اسم الملك الراحل ؟
الموتْ !
هل تدرون ماذا كانت ألقابُه
الموت الماشي .. الموت الغافي .. الموت المتحرك .. الموت الأعظم ..
الموت الأفخم .. الموت الأكبر
كانت لمسَتُه أو خطرتُه أو نظرتُه معناها الموتْ

لمسَ النهرَ فماتَ النهرْ

لمسَ القصرَ فمات القصر

لمسكم .. أنتمْ .. مِتُّمْ ... أنا أيضاً متُّ

سيديَ القاضي .. إنك ميت ..

وكذلك أنتَ ... وأنتَ ... وأنتْ

ولعلَّك أكثرنا إيغالاً في الموت

إذ أنك أكثَرنا قرباً منه

لم يفلتْ من لمستِه إلا هذي المرأة

لمستْني فنهضتْ

لأتركَكُمْ للموتْ

أتركُكُم للموتْ

« يسدل الستار »

المنظر الثاني

«أمام الستارة المسدلة ، الكوخ والنهر ، والشاعر والملكة يجلسان ، الملكة تضحك سعيدة» .

الملكة

آهٍ ... أسكت أرجوك

حتى أستجمع أنفاسي

كاد الضحك يفتتني

أنظر ، إني أهتز كأن شعاع الشمس يدغدغني

وكأن الريحَ المجنونةَ تتغلغلُ تحت ثيابي

وتلامس عابثةً عطفي

ما أغرب أسلوبَكَ في الحكي

الشاعر

عفواً :.. أقسم أني لا أحكي إلا ما كانْ

لا أخلق شيئاً من ذهني ، لكني قد أنثر فوق المشهدِ بعضَ الألوانْ

بل إني أحياناً أبصر ما تخفيه الأشياءُ الرواغة ،

في باطنها من إحساسْ ....

يجعلها تبدو في لون آخر

في رأيي مثلاً أن الأفقَ الأزرقْ
ليسَ بأزرق دوماً
في رأيي أيضاً أن ترابَ النهرِ الأسمر
ليس بأسمر في كل الأحيان

الملكة

ما لونهما يا شاعر

الشاعر

ذلك يعتمد على حالِهما النفسيه

الملكة

حالهما النفسيه ؟!

الشاعر

حين يكونُ الأفقُ سعيدا
يصبح ورديًّا
مثلكِ أنتِ الآنْ

الملكة

خاطرٌ شاعرْ
منذ متى تكتب شعراً ؟

الشاعر

لا أدري يا مولاتي

الملكة

لستَ عجوزاً حتى هذا الحد

الشاعر

حقاً .. لا أدري يا مولاتي

لا أدري منذ متى كانت لي هذي المشيه

منذ متى أصبح لي هذا الصوت

منذ متى كان بوجهي هذا الأنف

منذ متى أكتب شعراً

الملكة

«ضاحكة»

هل ذقتَ الحب كثيراً في صغرك ؟

الشاعر

لا .. يا مولاتي

بل ذقت العشق

الملكة

العشقْ !

الشاعر

يوماً ما كنت عشيقاً للوردة

كنت أحب تضرمَها للنور ، تبرجها للعين ، ووقفتَها الممشوقةَ

فوق الغصنْ
كنتُ أحبُّ سماحتَها إذ تَلْمَسُها أطرافُ الكف
تَرخُصها إذ تكشف باطنَها ، تستلقي في غمرة لذتها حتى تتمزقَ عشقا
بل كنت أحب نسيمَ العفن الواهن
المتناثرِ من جثتها المسحوقة

الملكة

مَنْ معشوقتُكَ الآن ؟

الشاعر

بل معشوقاتي ... الكلمات
نلعبُ لعبتنا السريةَ في ضوء القمر الذابل
أو في نور المصباحِ الآفلْ

الملكة

ماذا بعد اللعب السريْ ؟

الشاعر

لا شيء سوى أني أتملكها

الملكة

لا ينتج شيء من لا شيء
أولم تسألْ نفسَك أحياناً
ما الغايةُ من كلماتِكْ ؟

الشاعر

لا شيء

الملكة

لا بد لكلماتِكَ من غاية
من شيء تفعله كبقيةِ ما خَلَقَ الإنسان
أو ما خلقَ الله وأعطاه للإنسان
الزهرةُ والريحْ
الحريةُ والسهمْ
القمةُ والسفحْ
آلاتُ الموسيقى والموسيقى والأرقام وعنقودُ الكرمْ
وعقولُ الحكماء وسيقانُ الأشجار وأصدافُ البحر ...
حتى الأحلام

الشاعر

هذا حق ... لكن ماذا تصنع كلماتي
هي أهون من أن تطمح للفعلْ
أهون من أن تغدو سيفاً أو ترسا
كي تقتلَ أو تحمي من يقتلْ

الملكة

لا تبخسْ كلماتِكَ ما تستأهله من قَدْر

فالكلمة قد تفعلْ

لا تدري ماذا فَعَلَتْ في مطلع عمري كلمات تشبه كلماتك

سمعت أُذنايَ صبياً حساساً ملتمعَ العينين

ينفخ في مزمار ويغني أني أجمل ما رأت العين

فغدوتُ جميله

بعد سنين سمعت أذناي

من يتحدث أني عارية أتألق كالنهر الفضي

فخلعتُ ثيابي عند النهر

كي أتأمل حسني المتفجر

حتى سمعتْ أذناي

من يحكي أني أتدفق بالخير

إذ يَمْسَحُ مرآيْ

عَنْ عينيْ مَنْ يتأملُ غصني المزهر

ما يثقله مِنْ أوصابِ العمر ....

هل تسعد بوجودي جنبك ؟

الشاعر

مولاتي ...

تتردد في ذهني الآن

بضعةُ أبيات من شعري

ما أفقره من لا يجد من الكلمات لكي يتحدث عن فرحته ..

حين يضم بعينيه من يهواه
إلا أن يهتف إني فرحان
ما أفقره مَنْ لا يجدُ مِنَ الكلمات لكي يتحدث عن حبه
حين تكون حبيبتُه جنبه
إلا أنْ يهتفَ يا حبي

الملكة

هل ألفت عينُكَ أجواء النور المتألق
أتعود عشيقاً للوردة ، لا ميتةً ، بل زاهيةً فوق الغصنْ

الشاعر

مولاتي !

الملكة

هل تغلق بابَ الماضي ؟

الشاعر

عفواً يا مولاتي
هذا رجل يسقط من نافذة الماضي

الملكة

من هذا ... ؟

الشاعر

هذا الخياط

«يظهر الخياط متردداً ، ثم يقف أمام الملكة والشاعر ويشير إليهما ضاحكاً محيياً»

الملكة

ماذا تبغي ؟

الخياط

«يشير إليهما أنه يريد أن ينضم إليهما» .

الملكة

لِمَ لا يتكلم ؟

الشاعر

قطعَ الملكُ لسانَه

في آخر يومٍ من أيام حياته

هو لا يتكلم ... لكن يسمع

أقدمْ ... ماذا تبغي

«الخياط يكرر الإشارة السالفة» .

الشاعر

اذهبْ عنا إنك خرّقٌ من ثوب الماضي

الخياط

«يحاول أن يدافع عن نفسه ، ثم ما يلبث أن يبكي بدون صوت»

الشاعر

لا أعرف ماذا يبغي ؟

إصنعْ ما شئت

الخياط

يبتسم ويغمغم ، ثم يجلس مستحيياً بجانب الشاعر والملكة ، وكأنه تابع لهما

الشاعر

هو يبغي أنْ يصحبنا
يهربَ من ماضيه كما نهرب من ماضينا
لكن ... هو أسعدنا حظا
لم يفقدْ إلا حنجرتَه
لكن ما أتعسه ... مَنْ بعثرت الأيامُ المنحدرة
سلةَ جسمه
مَنْ أصبحَ لا يسمع فوق وسادته دقةَ قلبه
بل دقةَ قلب الخوف
مَنْ فَقَدَ براءة كلماتِه
بينا عجزتْ يَدُهُ عَنْ حَمْلِ السيفْ

« ظلام »

المنظر الثالث

«يرتفع الستار عن القصر لنرى رجال الملك وهم يهبون من نومهم ، الملك ما زال على سريره» .

القاضي

خيراً ... اللهم اجعله خيرا

الوزير

ماذا ؟

القاضي

لا شيءْ

الوزير

قل ... لا تتردد

القاضي

سمعتْ أذني شيئاً في الليل المعتم

وأظن الهاجسَ حلماً يتعثر في الأرض المسحوره

ما بين اليقظة والنومْ

أو صوتاً يتسلل من باطن نفسي

كي يهمس في رأسي

المؤرخ

ماذا سمعتْ أذنك في الليل ؟

القاضي

بضعةَ أصداء

الوزير

لم أكُ أقوى أن أتكلمْ

لكني كنت أميز صوته

حقاً ... كانت روحي تتدلى في بئرِ النومْ

لكني لا أخطئْ أبداً في رنته أو نبراته

المؤرخ

ماذا كانَ يقولْ ؟

الوزير

أَوَلَمْ تسمعْ شيئاً أنت الآخر ؟

المؤرخ

بضعةَ كلماتْ

لكني لا أدري هل سمعَتْهَا أذني في اليقظة

أو سمِعَتْها روحي في الحلمْ ؟!

الوزير

ما هذي الكلمات ؟

إنك ذاكرةُ الدولة ، إذ أنتَ مؤرخها الرسميّ

المؤرخ

كانتْ كلماتٍ قيلتْ بتأنٍ مكتوم
وكأنَّ القائلَ ينزعها حرفاً حرفاً من أسنانه

القاضي

ماذا كانتْ ؟

المؤرخ

كان يقول

أبغي الملكةَ جنبي

الوزير

هذا ما سمعتْه أذني

القاضي

تلك هي الكلمات

هو يبغي الملكةَ كي ترقد جنبَه

الوزير

حتمٌ عندئذ أن نأتي بالملكة

المؤرخ

نُرقدها جنبَ الملكِ الميت

القاضي

ميتةٌ أم حية ؟

المؤرخ

ميتةٌ أم حية ؟

الوزير

لا أدري ، فلنسأله ... قد يتكلم

فلنصعدْ لسؤاله

«ويصعد الثلاثة متوجهين إلى الملك ، ويتقدم الوزير ، بينما يتمهل الجلاد وسط السلم» .

الوزير

صُبِّحتَ بخير يا مولانا الأعظم

ماذا تبغي ؟

الصوت

«كأنه ينبعث من مكبر صوت»

أبغي الملكةَ جني ...

الوزير

إسمح لي يا مولانا أن أسأل

ميتةٌ أم حية ؟

الصوت

أبغي الملكةَ جنبي

الوزير

هل تسعد نفسُك إن أغفت جنبك

الصوت

أبغي الملكةَ جنبي

الوزير

هل يخرج بعدئذ من جسم جلالتكم
طيرُ الموتِ الأسود ؟

الصوت

أبغي الملكةَ جنبي

الوزير

«مخاطباً زملاءه»

مَنْ يذهبُ لاستحضار الملكة ؟

القاضي

معها هذ المأفون الشاعر

المؤرخ

هو أهون من أن تأبه له

لن يبصرَ سيفاً حتى يعدو ، لا يسبقه إلا ظله

من يذهبْ ؟

القاضي

مَنْ غير الجلاد ؟

الوزير

يا جلاّدْ

هل سمعتْ أذنُك صوتَ الملك الميت

يبدي رغبته الملكيةَ في قرب الملكة ؟

الجلاد

لم أسمعْ شيئاً

الوزير

نحن سمعنا

إذهبْ .. عُدْ بالملكة

الجلاد

أين أجدها الآن ؟

المؤرخ

هي لا بدَّ تولتْ ذاهبةً للكوخ المهجور

حيثُ أقامت حيناً في حضن النهر

القاضي

ذهبت كي تحيا في ماضيها الغابر

الجلاد

أتريدونَ الملكةَ ميتةً أم حية ؟

الوزير

حية ...

الجلاد

فدعوا لي الشاعرْ

الوزير

إنك تدري ما تفعل به

الجلاد

هل يصحبني أحدٌ منكم ؟

الوزير

قد نلحقُ بِكَ بعدَ قليل

الجلاد

ها أنذا ذاهبْ

رغماً عن عقلي ، فأنا لم أسمع شيئاً ... لم يدخلْ شيءٌ أذني

لا يغريني أنْ آتي بالملكة

لا أدري هل ينفعُ هذا في بعثِ الملكِ النائمِ أم لا ينفعْ
لكنْ قد يغريني أنْ أتسلى بالعبثِ بأضلاعِ الشاعرْ
فأنا منذُ زمانٍ أكره هذا المأفونَ الماكرْ
في هيئتهِ شيءٌ ... لا يعجبني

«ستار»

المنظر الرابع

«الملكة والخياط يجلسان مبتهجين ، والشاعر على مقربة منهما يمشي في بطء ، ويتلكأ في بعض الأحيان» .

الملكة

يهوي من عينيكَ الخائفتين الصمتْ

أكثر ثرثرةً من كلماتك

فيك طباعُ الخادم

إذ يتمردُ على خدمةِ سيده يسعى كي يخدم خصمَهْ

إنك تسمعُ ... لكنْ لا تتكلمْ

فأنا إذْ أتحدث لكْ

فكأني أتحدثُ للجزءِ الخائفِ من نفسي

قل لي : هل يعطيني الطفلْ ؟

هل أدرَكَ أن الحبَّ هو الشوقُ إلى صنع المستقبل ؟

لا الرغبةُ في نسيان الماضي

الخياط

«يومئ برأسه موافقاً»

الملكة

هل عادَ إلى نفسه ؟

هل سقطتْ من عينيه أشباحُ سنينِ الموتْ ؟

الخياط

«يومئ برأسه موافقاً»

الملكة

فلأتجملْ له

ولأنثرْ شَعري المحلولَ على صفحة وجهي

ولأُدْمِ شفتيَّ بأسناني حتى تنعقدَ على كرزِها الرغبة

الشاعر

«وحده ، كأنما يتعبد للشمس»

يا سيدةَ المرجِ الغيميِّ الأزرقْ

لو أنكسر كشعاعِك حين يمسُّ الأرضْ

لو أهوي ميتاً ، لو أتمزقْ

لا تتحمل نفسي وطأةَ هذي اللحظة

توشكُ نفسي أن تتفرق كالأشتاتْ

أغنى لحظات حياتي ، أحفلها بالرغبة ... والعجز

بالفرحة ... والخوفْ

بالذكرى ... والنسيانْ

بالشوق ... وبالإشفاقْ
أعجز أن أحيا في الحب
حين تفاجئني عيناها الراغبتان الطيبتانْ
أتراني أصبحتُ رماداً ، أم ما زال هناك بصيصٌ من نيرانْ
فلأكتبْ حبي في كلمات
آه ... لا أقدر أن أكتبَ شيئاً ، تتزاحم في سمعي الأصواتْ
خالعةً ثوب الكلمات كما يخلع ظلٌّ أعضاءه
والصورُ المنهالةُ لا تتمهل حتى تتلمسَها عيني المندهشة
لا أدري كيف يكون الإنسان فقيراً في التعبير إلى حد الإملاقْ
حين يكونُ غنياً بالإحساس إلى حد الرعشة
فلأتحدثْ في مزماري

«يعزف ، بينما يتقدم الجلاد من أقصى المسرح»

الجلاد

أنت هنا يا هذا المأفونَ ، تَنِقُّ نقيقَ الصرصور الأجربْ
خذ ... هذا حبل .. أوثق نفسَكَ حتى لا تهربْ
واصبرْ حتى أفرغَ من بعضِ شؤوني
عندئذ أذبحك بهذا السيف المهلِكْ
إنْ لم تتبدَّدْ خوفاً قبل رجوعي لكْ

«للخياط»

أنت هنا ... أيضاً

اهربْ وامضِ بجلدك

أنا لا أحمل لك حقداً ، لكنْ شكلُكَ لا ينسجم لعيني

في هذا الموكبْ

مولاتي !

الملك يريدك

الملكة

الميت لا يبغي إلا الأكفان

لكن تبغيه الديدانْ

كي تصنعَ مأدبةً من جسدِه

الجلاد

مولاتي

همس الملكُ لحاشيته ،

في ظلمات الليل ، وهُمْ كالأعمدةِ المنصوبةِ حول فراشِهْ

أن مشيئته هي أن ترقدَ مولاتي جنبه

الملكة

جنبَ الموتْ !

الخياط

«يتقدم مستعطفاً الجلاد ، وكأنه يذكّره بصداقة قديمة»

الجلاد

«يركل الخياط»

اذهبْ ، ما شأنك في هذا يا هزأه

احذر ... سيفي لم يروَ دماً مِنْ أزمان

يشكو لي في كل مساءٍ ظمأه

وأنا لا أصبر عن شكواه ، إذ هو خِلّي وصديقي وأخي التوأم

حقاً .. هو لا يشرب إلاَّ أفخرَ أنواعِ الدمْ

لكنْ لا بأس بأن أُنهله قطراتٍ من دمك المائع

«يستل سيفه ، فيهرب الخياط باكياً بدون صوت»

صبراً يا مولاتي

صبراً حتى أفرغَ مِنْ هذا الضائع

«يستدير للشاعر»

هل أحكمتَ وثاقَكْ ؟

متعالٍ دوماً حتى في موتِكْ

صبراً يا مولاتي

سأداعبُه بالسيفِ قليلاً

وسأبدأ بمقدم وجهه

إذ لا تعجبني نظرةُ عينيه

«يقترب منه ، فيمد الشاعر مزماره ، ويطعن به الجلاد في عينيه ، الجلاد يصرخ ويتراجع ، وتدمى عيناه . يغطيهما بإحدى يديه ، ويضرب بسيفه على غير هدى» .

الجلاد

آهٍ ... غافلني الكلبُ الشاردُ ... سأمزقك بأسناني

لن يطفئَ غلِّي أن أحطم رأسك أو أضلاعَكْ

لا تتقهقرْ عن حد السيفْ

أسمعني صوتَكَ حتى يُخرجَ سيفي أمعاءَكْ

أو يدهسَ أعضاءَكْ

الملكة

«مقتربة من الشاعر رافعة يده في يدها»

أنتَ صرعتَ الجلاَّدْ

وصرعتَ الخوفْ

عَزَفَ المزمارُ نشيدَ الدمْ

بينَا أصبحَ سيفُ الجلاد الغاشم

أعمى لا يجد طريقه ... أقدم

خذ منه السيف

الجلاد

«يسمع صوت الملكة وأنفاس الشاعر ، فيتجه إليهما بسيفه ، ويجرح الشاعر في ذراعه» .

الملكة

«منحنية في الأرض تحت قدمي الشاعر»

قطراتٌ من دمكَ على وجهي ... مرّحى بالجرح المتبسم

لا تفقدْ إقدامَكَ ... جالدْ ... أقدمْ

سالَ دمٌ .. بدمٍ ... دَعْ دمكَ الزاكي يعطي للحظةِ معناها الباهر
في ظلماتِ اللامعنى السوداءْ
دعه يتقطرْ فوق الأرضِ ... التاريخِ ... الشاهدْ
أُنظرْ
تتجاور دائرتان مِنَ الدم فوق التُّربِ الجامدْ
نَزْفٌ مسمومٌ من دمِ جلادٍ مجنون بالدم
ونثار نورانيٌّ من دم شاعرْ
ما أغربَ ما التقيَا ، هذا يكتبُ في سفر التاريخ الخالدْ
صفحتَه السوداءَ ، وهذا يكتبُ صفحتَه البيضاء

«يداور الشاعر الجلاد حتى ينزع منه السيف ، ثم يثبت به يده ويندفع إليه الجلاد ، فيموت بسيفه ، ويتهاوى الشاعر جريحاً بين يدي الملكة»

الملكة

دعني أَلمسْ جرحَكَ ... ما أجمل هذا الجرح الوضَّاءْ
الفجر الغسقي، عيونُ النرجس ، عبَّادُ الشمس ، دماءُ العذراءْ
الحكمةُ والمعنى ، الكأسُ الضائعةُ الفضيَّة
دعني أغمسْ فيها شفتي لكي ترتدَّ إليَّ الروحَ ، ولا تفنى أو تنفدْ
هذا الدم ... ما أزكاه ... عطر الجسد الوحشيّ المسجونْ
دعني أتشممه ... دعني أملأ رئتي بهذا النفح المكنونْ
هذا الدم ... ما أقتم حمرتَه .. فلأتزينْ به
ما أجمله كخضاب في مفرقِ شعري المرسلْ

ما أبهاه وشماً فوق جبيني المثقل
ما أجمله حمره
في مبسِم شفتيَّ الذابلتين
يكفيني ... قد شبعتْ روحي ...
قد شبعتْ عيناي
مِنْ أجلي قد سال دمُكْ
ما أَغْربَ قسوةَ قلبي
فلتحفظْ لي هذا الدمَ ... كي يرعَى أيامي ... لينور فرحي
سأطَبِّب لك جرحك ... بل جرحي
يا للهب الطالعِ مِنْ شَفَتَيْكْ
رغم الوجهِ المبتل المُنهكْ

«تقبله»

الشاعر

مولاتي !

الملكة

بل قلْ .. حبي

الشاعر

حبي ...
أشعر أني يجري في أوردتي الثلجُ المتفتتْ

حتى يتقطر من أطرافي في بطءْ
أو يستلَّ سخونةَ جسمي الخائر

الملكة

حبي ينعقدُ ككرْمَهْ
فأعصره يتصببْ لك منه الخمرْ

«يتقاربان»

هل أنتَ بخير ؟

الشاعر

أوشك أن أغدو أحسنَ حالاً
مِنْ لحظاتٍ كنتُ أريدُ الموتْ
لكني الآنْ ...
أتمنّى أن أحيا مِنْ أجلِكْ

الملكة

معجزةُ النهر
ما أجملَ أن تأتيني روحُ الكونِ هنَا ، تنفخ فيَّ السر
أمتلئُ بروح الكون كما تمتلئُ الثمرةُ بالشهدْ
حتى إنْ حان الموعد
جئتَ إلى جذع الشجرة
وهززتَ إليَّ الأغصان المخضرة

عندئذ .....

لن أحتكم وإياهم للدم

سأشير إليه .... ليتكلم

الشاعر

حي ... ما أصدق حلمك بالطفلْ

وكأنك كنتِ تَرَيْنَ المستقبل

هل دار بخلدكِ يوماً ما ؟

أنْ يعطيَك الطفلَ الشاعرْ ؟

الملكة

يعطيني طفلِيَ مَنْ يعرفُ كيفَ يقاتلُ بالمزمارْ

ويغني بالسيفْ

الشاعر

أوحشني مزماري

أبغي أن أتنفَّس فيه حي لك

شوقي أن أغفو في خضرةِ أغصانك

في فتحته قطراتٌ مِنْ دمٍ

فَلأَمْسَحْها عنه

آهٍ ... هذا المزمارُ الفارسْ

الملكة

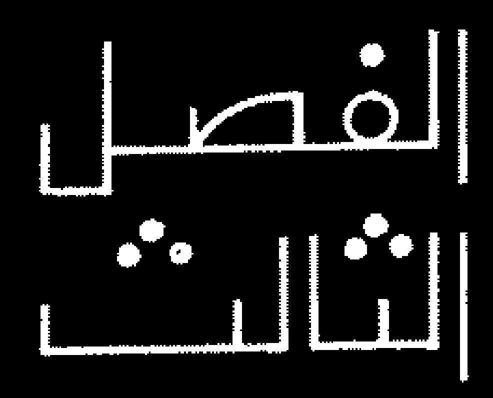
دعني أمسحْهُ في صدري

حتى يرجعَ لطبيعته السمحه

هذا المزمارُ العاشقْ

« يغني للملكة ، بينما تميل الملكة عليه ، يسمع الخياط الذي كان مختفياً في مكان ما لحن المزمار فيعود متردداً خجلان ، فإذا رأى الملكة والشاعر متعانقين ، جلس قريباً منهما بحيث لا يريانه ، وبينما هو يجلس ، تأخذ الملكة بيد الشاعر ، ويمضي مستنداً عليها إلى داخل الكوخ »

« يضاء النور »


الفصل
الثالث



المرأة الأولى

سيداتي .. سادتي

قال لنا مدير المسرح نقلاً عن المخرج نقلاً عن المؤلف ، إنه احتار حيرة شديدة ، حين وصل إلى هذا الموضوع من مسرحيته ، فإن علماء التأليف المسرحي ، يقولـون إنه لا بـد بعد الـذروة أو «الكليماكس» من نهاية سارة أو حزينة أو « أنتي كليماكس» .

المرأة الثانية

وكانت أمام المؤلف ثلاثة حلول لهذه الذروة التي تتمثل في أن الحاشية منتظرة لعودة الجلاد ، بعد أن أنبأتنا بأنها قد تلحق به . وأن الملكة قد تحقق وعد الأقدار لها بأن تحمل بذرة المستقبل ، وأن الشاعر أصبح حبيباً وفارساً ، وأخيراً أن الملك الميت يطلب أو يقال إنه يطلب أن تغفو الملكة بجانبه حتى يستطيع أن يتغلب على موته ، ويطرد طير الموت من قلبه وفمه .

المرأة الثالثة

والحلول الثلاثة التي توقف عندها المؤلف هي الحلول الثلاثة المختلفة لكل مشكلة ... حل الشكوى إلى الأقدار ، وحل الانتظار ، وحل التصدي للموقف بكل شدته وتعقده .

المرأة الأولى

ولما كان المؤلف حائراً في أي الحلول تفضلون ، فقد آثر أن يعرض عليكم الحلول الثلاثة ، ولكنه تعهد لنا أن لا نعرض غداً إلا الحل الذي يرضيكم ، أو يرضي مزاج الأغلبية منكم ، فنحن كما قال المؤلف لا نريد أن نعلمكم ، ولكننا نريد أن نتعلم منكم .

المرأة الثانية

ونبدأ الآن بتقديم الحل الأول .. حل الشكوى إلى الأقدار ومناشدتها أن تحل المشكلة ، وقبل أن نعرض هذا الحل نمهد له بحكاية بعض الأحداث .

المرأة الثالثة

لقد استبطأت الحاشية الجلاد ، فأتت في عديد من أعوانها إلى مكمن الشاعر والملكة ، واستطاعوا أن يأخذوا الملكة معهم ، حيث مدّدوها حيةً بجنب الملك الميت الذي كانت تتصاعد من جسمه رائحة العفن ، وظلوا ينتظرون أن يهب الملك من نومه ، ولكن

انتظارهم ذهب عبثاً ، فاستقر رأيهم في النهاية أن يرسلوا الملك والملكة إلى العالم السفلي .

المرأة الأولى

أما الشاعر فلقد جن جنونه ، ومضى ليناشد قضاة محكمة الأقدار في العالم السفلي أن يعيدوا إليه حبيبته ، فانطلق في طريقه الطويل المخوف ليمثل أمام القضاة .

هذا هو الشاعر .. فلنفسح له الطريق ..

الشاعر

سيدتي .. كنزي .. ذخري

جنتي العطرةَ ، خيمتي الفضيةَ ، ليلي الرطبَ ، سمائي المجلوهْ

كيف أذوق صفاء الراحةِ ، أو أجد سلام القلب

ما دمتِ هناك بعيداً عن عيني

ها أنذا أبسُطُ كفّي ،

لتتشابَكَ في كفكِ ، أو تلمس أطراف أناملك الحلوهْ

ها أنذا أشرَعُ عيني ، لتأوي في مرفأ عينيكْ

يبكي في سمعي نهرٌ غنينا في واديه معاً

كوخٌ عِشنا بين جناحيه معاً

من يرشدني ؟!

أين طريقُ قضاة الأقدار

في محكمة الكون السفليّ
حيث تنامُ الشمسُ إذا أنهتْ رحلتها في الأفقِ الفضيّ

صوت المرأة الأولى

سِرْ حتَّى تلقَى جبلَ الشمس الممتد الجنبات
بين ذراعيه يُقْعِي كهفُ الظُّلُمات
حيث تنام الشمس إذا أنهت رحلتها اليوميه ....
في بوابته تقف امرأتان
تنتظران
اسأل وتقدم
لكنْ .. يمشِي أحدٌ في هذا الوادي الساكِن ،
يحملُ سيفاً أو رمحاً أو سهما
فالقِ بسيفِكْ
هذا وادِي الأمنْ

« الشاعر يلقي سيفه »

فلتمضِ الآن ....

الشاعر

ها أنذا يتخلَّع قلبي من تحتِ بنائي المتهالِك
تصفرُ أنفاسي في صدري المرهق كالقوقعة المفتوحهْ
أتوسل لك يا حب بقلب كلَيْنا

أنا وامرأةٍ مجروحه

أن ترعانا ...

هذي ... البوابه

المرأة الثانية

ماذا تبغِي في هذي الأرض السحريه ؟

يا هذا الشَّبَحُ المتهدم

المرأة الثالثة

لا بأس بصفحةِ وجهه

رغم الإرهاقِ البادي في عينيه

المرأة الثانية

يغدو أحْلَى حين أمدِّدُهُ في فرشِي الظامئ

بعد طعامٍ دافئ

وشرابٍ مُسْكِرْ

يتمدد دمه عندئذ مرتاحاً في أوردته

مِلْ يَمْنَه

هذا كوخي مُلْتَفٌّ بالشجر الأخضر

«تعابثه ...»

المرأة الثالثة

بل مِلْ يَسْرَهْ

هذا كوخي في حائطه يتسلق بعض الزهرْ
أنت أمير الكوخِ الليله ....
فأقم حتى تسمَعَ ديكَ الفجرْ

الشاعر
يا هاتانِ السيدتانِ الطيبتانْ
أهبكما في ذاكرتي أكرمَ ركنْ
لو أرشدني فضلكما لطريق قضاة الأقدارْ

المرأة الثانية
قَلْبكَ فَاتِرْ !
إذ لا تستمع لأشواق امرأتين تحبانك

الشاعر
هل يرشدني فضلكما لطريق قضاة الأقدارْ ؟

المرأة الثالثة
ماذا تبغي عندَ قضاةِ الأقدارْ ؟

الشاعر
مَنْ يَهْوَاها قلبِي
أبغي أن أطلبَ عندهم العدلْ
ليعيدوا لي امرأتي

المرأة الثانية

هل سلبوك امرأتك ؟

في إحدى ألعابِهِم العابثةِ بأقدار الكون

الشاعر

حقاً يا سيدتي

المرأة الثالثة

هل هي حُلوه ؟

الشاعر

ينتسبُ الحسنُ إليها ، لا تُنْسَبُ للحسن

المرأة الثانية

هل هي أحلى مني ؟

المرأة الثالثة

أو مني ؟

الشاعر

سيدتيَّ الطيبتين ! !

المرأة الثانية

لا تقدرُ أن تنساها

دعنا نمزج لك كأساً من نهر النسيان

بنثار من مسك الرغبة

عندئذ قد تتوجَّهُ قافلةُ رغابِـك نحو الكوخين السريين
حيثُ تنامُ وتشربُ ، لا تأبَه
أو ترجعُ عن قصدك كيْ تتوجَّهَ للكونِ العلويّ
فلكم عادَ كثيرٌ من أمثالكْ

الشاعر

لا .. سيدتيَّ الطيبتين
الغاليةُ هناكَ ، قد استبقَتْ قلبي
أخشى أنْ أبطئَ عنها ..
أبغي أن أرجعَ معها للنهرِ الليلهْ

المرأة الثانية

افتحن البوابةَ يا جنيّاتِ الجبَل السحري
اذهب ... مصحوباً بأحَرِّ الدعواتْ

المرأة الثالثة

«مجهشة بالبكاء»

بأحرِّ الدعوات .. بأحرِّ الدعوات
يتأثر قلبي بالإخلاصِ إلى أن أوشك أنْ أبكي

الشاعر

ما أكثفَ هذي الظلمات المجهمهْ
ظلماتٌ تهوي قطعاً متلاحقةً كسماءٍ سائلةٍ سوداءْ

لو تنحسرُ الظلماتُ قليلاً

فأنا أنقُلُ قدمي ، لا أبصرُ موضِعَهَا

وكأنَّ هواءً مكتوماً ينقُلُ خُطْوَتَهَا العرجاء

من شبرٍ في شبرٍ آخرْ

آه ... لاحتْ بعضُ الأضواءْ

ما هذا ... لافتةٌ فوقَ القصرِ الموحِشْ

محكمة الأقدار ! !

«يرتفع الستار عن قاعة العرش ، وقد تحولت إلى محكمة ، في الطابق العلوي يجلس القضاة الثلاثة ، وهم الوزير والمؤرخ والقاضي ، وقد أداروا وجوههم للجمهور ، بينما يقف الملك والملكة متنابذين في الركن الأيسر ، والمنادي في أحد الأركان ... حين يدخل الشاعر يصيح المنادي» ..

المنادي

محكمه ... كمه ... كمه ....

الوزير

«للشاعر»

أفصح عن شكواك

الشاعر

يا سادتي قضاةَ الأقدارْ

يا أهلَ الحكمة والعدلْ

الوزير

«لصاحبيه مزهواً»

يعرفُ من نحن ...

القاضي

هل يجهلُنا أحد من أهلِ الأرض

وخيوطُ مصائِرِهِم تتأرجَحُ في أيدينا ؟

المؤرخ

لا أدري لِمَ يُلْقُونَ خيوطَ مصائِرِهم في أيدينا

بدلاً من أنْ يستبقُوها في أيديهم ؟

الوزير

كَيْ نحيا في هذا الإزعاجِ الدائم ...

أينَ الخصم ؟

الشاعر

هذا ...

الوزير

هل هو مَلِكُكْ ؟

الشاعر

«موافقاً برأسه»

الوزير

ما عملك ؟

الشاعر

شاعر

الوزير

هل أبطأ عنك المِنْحَه

أم حَجَبَ علاوتك السنويه ؟

الشاعر

أَخَذَ امرأتي

الوزير

ما رأيك يا سيد (عَفْواً مع حفظ الألقاب)

فالكلُّ سواء في شرع قضاة الأقدار

الملك المتمكنُ ... والصعلوك ... الصعلوك ...

القاضي

«مكملاً»

المتمسكن

الوزير

نعم ... والصعلوك المتمسكن

الملك

هيَ مِلْكِي

فأنا استحوذتُ عليها بالسيف

الشاعر

لم تكُ مِلْكاً له

بل كانت في أَسْرِهْ

ما يصبحُ مِلْكاً لك

هو ما تعطيه من نفسِكَ ، لا ما تسلبه نفسَهْ

هو زرعٌ ينمو في ظِلِّكَ لا يَصفَرُّ ولا يَذبُل

هو ذَهَبٌ يتشكّلُ بين يديكْ

لا ذهبٌ تكنِزُهُ خلفَ جِدَارْ

هو نبعٌ تكشف عنه حتى يتبسَّمَ ماؤه

لا نبعٌ تطمرُهُ بالأحجارْ

الوزير

كلماتٌ لا بأس بها ...

الملك

لا .. يا قاضي الأقدارْ

لا يخدعْكَ الشاعرُ بمحار اللفظ الثرثارْ

الفارغِ من معناهُ الواضحْ

الوزير

حقاً .. لا يخدعُنا الشاعر بمحار اللفظ الواضحْ

الفارغِ من معناه الثرثارْ

الملك

استحوذتُ عليها بالسيفِ البتَّارْ
وحرصتُ عليها حرصَ البحرِ على لؤلؤهِ ،
إذ يخزنه في باطن نفسِهْ
لم ترها عين منذ وضعت عليها كفاي الحانيتان
كنت أخاف عليها أن يزعج هدأةَ نفسيتها ....
ما قد تبصره من عبث الأزمانْ
حوَّطْتُ عليها بالظل الداكِنْ
حتى لا يُذْبِلَ وهج الشمسِ المحرِقْ
ما تحملُهُ من زهرٍ متألِّق

الشاعر

ماذا أعطيت لها ؟!
عاشَتْ كالتمثال الباردِ في بابِ مدينةِ أشباح

الملك

أعطيت لها ما لا يقدر أنْ يعطيَهُ إلأي
استقرارَ الذهن المرتاح
وصفاء القلب الخالي مما يُحزِنُ أو يُفْرِح

الشاعر

ما تذكره يُدْعَى باسمٍ آخر

يُدْعَى بالموت
لكنّي أعطيتُ الحُبْ
أعطيت المستقْبَل
كانت تنتظر عطائي كالأرض القَلِقَهْ
إذ تنتظرُ خطابَ الريحِ الحَامِلَ للأخبارِ الساره
أخبارِ الخصب
الملك
لا تهفُو في الحَقِّ .. قضاةَ الأقدارْ
فهي امرأتي بالسيف وبالماضي
فوق مُلاءتِها يَسْقُطُ ظِلي
الشاعر
لا .. أقضاةَ الأقدارْ
فهي امرأتي بالحبِّ وبالمستقبلْ
في باطِنِها يتخلّقُ طِفْلي
الوزير
والآن ...
هاكم ما قَرَّ عليه قرار قُضاةِ الأقدارْ
قررنا أن يتقاسَمَ هذان الرجلانْ
(عفواً ... مع حفظ الألقاب)
هذي المرأةْ

هذا الرجل تَملّكَها بالسيف

فلهُ الرأسُ ، وما تحتَ الرأسِ إلى قرب الخصْرِ

هذا الرجل استودعها طفلاً

فَلهُ ما تحتَ الخصرِ إلى أخمص قدميها

انتهت الجلسهْ !

يا جلاد ... نفذ ما قضت المحكمة به الآن

الشاعر

«صارخاً»

بئسَ قضاؤكمُ الظالمْ

ما أخيبَ ما ضَيّعْتُ من الجهدْ

أينَ السيف ؟

الجلاد

«يتقدم منه حاملاً سيفه ومهدداً» .

الوزير

نفّذ ... يا جلاد

الشاعر

مهلاً أقضاةَ الأقدار

إن يك هذا هو حكمكم المبرم

تمزيق الجَسَدِ وسفحَ الدم

فأنا أتركها له !

فأنا أتركها له !

« ستار تقف أمامه النساء الثلاث »

المرأة الأولى

هذا أيها السيدات والسادة هو الحل الأول ... الاحتكام إلى قضاة الأقدار .

المرأة الثانية

لقد قضوا بتمزيق جسد المرأة ، وتفريقه كأنه ورقتا لعب بين الموت والحياة .. بين الملك والشاعر

المرأة الثالثة

ولعل هذا الحل هو ما يسمونه في الأيام الحديثة بالتسوية بين الأطراف المتنازعة ، أو المصالحة بين الاتجاهات المتباينة ، أو بالتعبير العامي « قسمة البلد بلدين » .

المرأة الأولى

وهو حل يخسر فيه عادة صاحب الحق ، وما قصة سليمان واحتكام المرأتين ، الأم الحقيقية والأم المدعية ، ببعيدة عن أذهاننا ، وقد سمعها كثير منّا من جدّاتهم ، وأمهاتهم ، أما الذين لم يسمعوها لنقص في المعلومات الفولكلورية في عائلاتهم ، أو لأنهم ينحدرون من أسرة كريمة لا تعرف هذا التراث الشعبي ، فلا بد أنهم

ـ كمثقفين ـ قرأوها في مسرحية بريخت المشهورة دائرة الطباشير القوقازية .

المرأة الثانية

لقد قضى سليمان أن تشدّ المرأتان الطفـل ، كل من طرف ، فتنازلت عنه الأم الحقيقية لأنها لا تتصور أن يتعرض جسد طفلها الرقيق لهذا العنف الممزق .

المرأة الثالثة

وحينما تنازلت عرف سليمان أنها هي الأم الحقيقية ، ولكن أين لنا بحكمة سليمان ... الذي كان اسمه سليمان الحكيم .

المرأة الأولى

والآن لنقدم لكم الحل الثاني ... الانتظار

المرأة الثانية

لقد انتظر الجميع ... انتظرت الحاشية حتى يعود الجلاد ، عاماً .. عامين .. عشرة أعوام .. عشرين .. وما زالت تنتظر حتى يرفع الستار ..

وانتظر الشاعر والملكة حتى يولد الطفل ، ثم انتظرا حتى يكبر ، ثم انتظرا حتى يعلماه الحكمة والشعر ، مع قليل من اللعب بالسيف ، وحين أتم عشرين عاماً عادا به إلى القصر .

والآن يرفع الستار

«يرفع الستار ، القصر كئيب خافت ، ينعق البوم في جوانبه وتعشش العناكب في أركانه ، الحاشية ما زالوا يجلسون على درجات الدرج ، وقد طالت لحاهم حتى مسَّت الأرض» .

الشاعر

يا أنتمْ ... يا نُوَّام

الوزير

من أنتم ؟

الشاب

هل هذا هو قصرِي الموعودْ ؟
بيتٌ خربٌ تنعقُ فيه البوم ويَرْعَى الدودْ
ما أتعَسَ هذي الرائحة الملعونهْ
رائحةَ الموتِ المخزون

الملكة

حقٌ يا ولدي ... هذا هو قصرك

الوزير

«وهو ينظر بصعوبة ، ويتذكر بمشقة بالغة»

هذا ... الشاعر ... هذي الملكةُ لو صدقت عيني لكن من هذا الشابٌ ؟ وأينَ الجلاَّدْ ؟

الشاعر

إن تكُن الأسماكُ أساغَتْ طعمَهْ

فهو الآنَ حبيس في بَطْنِ الحوت الأبديٍّ النَهمَهْ
أمَّا إنْ كانت قد لفظته للأرضْ
فأساغت جُثَّتَهُ المهترئه
فهو الآنَ بلا شكٍ قطعةُ قرميدٍ صَدِئَهْ
أو غُصْنٌ في إحدى الأشجارِ السَّامَّهْ

الوزير

«متثائباً»

كنا ننتظرُهُ
لكن النوم عنيدٌ لا يَرْحَم
وخصوصاً في هذا السن المتأخرْ
أرسلناه كَيْ يأتِيَ بالملكه

القاضي

ها هي ذي جاءت بإرادتها الحرهْ
لا يعنينا شأنُ الجلادْ
فلتصعد هي كي تَرْقُدَ جنبَهْ
حتَّى يخرُجَ منهُ طيرُ الموتِ الأسودْ

الشاعر

حسبُكَ يا مجنونْ
صار الملك تراباً من أزمانْ

اكشف عنهُ .. تجد الطحلب ينمو فوق فراشِهْ
إصعدْ ، واكشف عنه ..!

القاضي

«يصعد متهالكاً لينظر إلى الملك ثم يعود»

حقاً ... فقد اهترأ الثوبْ
صار الملك تراباً ينبت فيه بعض العشبْ
يظهر أنّا نمنا زمنا
من هذا ؟

الشاعر

هذا صاحب هذا القصر
هذا .. المستقبل

المؤرخ

هل هذا اسمه ؟
دعني أكتب هذا في أوراقي
يا للعجز الملعونْ
لا أبصر هل هذي الورقة خالية أم مكتوبهْ

الشاعر

هذا ابنُ الملكة
ابنُ الأعوام العشرينْ

هذا ذو حق جاء ليأخذ حقَّهْ

فليَجْلِسْ في عرشه

الوزير

فليأخذ ما شاءْ

وليجلس حيث يريدْ

إنَّا نبغي أن نُخْلِدَ للنَّوم

الملكة

يا ولدي ... إعقد تاجك فوق جبينكْ

وتربع في عرشك

«يحاول الشاب أن يضع التاج على رأسه ، فيتفتت قطعاً . يجلس على كرسي العرش ، فينهار به ، يحاول أن يحركه ، فتهتز جدران الغرفة وتسقط أستارها .. يخوض في العناكب» .

ما هذا ؟ قصرٌ ملعون لعنته جنياتُ الموتِ العطشى ،

للتخريب وللهَدْمْ

لا أبصرُ حولي إلا ما هو منهارٌ ساقطْ

أو مهدومٌ متحطمْ

عِلَلٌ كامنةٌ في التَاجِ ، وفي خَشَبِ العَرْشِ ،

وفي جُدْرانِ القاعةْ ..

في الأستارِ وفي دَرَجَاتِ السلَّمْ

في شعر لِحَى هذي الأشباحِ المُرْتَاعه

أهيَ السوس أم الموت أم اللعنهْ

ماذا أفعل ؟
ماذا أتلقى من جائزةٍ بعد الحُلْمِ ربيعاً إثْرَ ربيع ؟
بتخوم المستقبل ... ؟
بلْ مِنْ أينَ بدايةُ عهدِي
من أية بداية ترميم المُلْكِ المتهشِّم
أبدأُ من هذا الركن المعتم
أم من هذا الركن المتهدم ..؟
سأزيل بقايا الماضي وأعيد بناء القصرْ

الوزير

لن تقدر يا ولدي .. لن تقدِرْ
إنَّا محبوسونَ بهذي الغرفهْ
فقد احتل أمير البر الغربي
باقي غرف القصر

«ستار ، تقف أمامه النسوة الثلاث»

المرأة الأولى

هذا هو الحل الثاني ـ سيداتي سادتي ... ولا ندري هل أعجبكم ـ درامياً بالطبع ـ أم لا ، فنحن نحكي لكم حكاية وهمية كما ترون ، ولكننا سنعرض عليكم الحل الثالث كما وعدناكم ، وفي إمكانكم عندئذ أن تقارنوا بين الحلول المختلفة .

المرأة الثانية

وكما وعدناكم أيضاً فإن الحل الذي تختارونه الليلة هو الذي سنقدمه وحده غداً ، بعد أن يمطــه المؤلف أو يرتجل الممثلون بعض العبارات لكي نملأ به كل وقت الفصل الثالث .

المرأة الثالثة

والحل الثالث يبدأ بعد أن يغفو الشاعر مع الملكة في كوخهما ، ثم يهبّا في الصباح لملاقاة المستقبل مبتسمين سعيدين بليلتهما ، منطلقين إلى معركتهما . أما الخياط ، فلا بد أن يكون وراءهما في مكان ما . لنقف بعيداً لنرى ما يحدث .

«الشاعر والملكة يخرجان من الكوخ ، سيف الجلاد مستند إلى جدار الكوخ» .

الملكة

هل هذا سيف الجلادْ ؟

الشاعر

أجل
دلّيْتُ حمائِلَهُ من كتفهْ
وعقدتُ بها مِقْبَضَ سيفِه
حتى أتقلَّدَهُ في الصبحْ

الملكة

أينَ الكتف الجرداءْ ؟

الشاعر

ألقيت بها في ماء النهر ؟

مع باقي الأشلاء

الملكة

هل غادرتَ فراشَك في الليلْ ؟

الشاعر

حين رأيتك قد أغفيت سعيدهْ

تتمطَّيْنَ كما يتمطى النبعُ الريَّانْ

قُمْتُ قليلاً ، ثم رَجَعْتْ

الملكة

دعنِي ألبسْكَ السيفْ

الشاعر

«راكعاً»

لأكن فارسك الشاعرْ

الملكة

لتكن شاعِري الفارسْ

دعني أتلقى منكَ العهدْ

أن تخلِصَ لي الود

أن تعطيني قلبَكَ وذراعيكْ

الشاعر

أُقسم

الملكة

هل تُقْسِمُ أن تعطِيَني كلماتِكْ
تتغنَّى لي حتى يتمايَلَ عطفايَ من الخُيَلاءْ
عندئذ يَسَّاقَطُ منِّي تمرٌ يشبع جوعَ البُسَطَاءْ

الشاعر

أُقسِمْ

الملكة

هل تُقْسِمُ أن تصحَبَني في رحْلَتِيَ مع الشمس الذهبيهْ
وسُرَايَ مع الأقمارِ الدَّوارَةِ كلَّ مساءْ
لا تتركني أبداً أمشي وحدي أو أحلمُ وحدي

الشاعر

أُقسِم

الملكة

انهض يا شاعرِيَ الفارسْ

الشاعر

هيا نمضي .. هل دبَّرت الأمر ؟

الملكة

أتركُ لك هذا التدبيرْ

الشاعر

بل أتركُهُ للسيفْ

«يمضيان في طريق القصر ، حتى يقفا أمام الستار ، فينفتح عن قاعة العرش ، يدخلان ، يصيح المنادي » .

المنادي

الملكة .. كه .. كه .. معها الشاعر .. عر .. عر

«يهبّ الوزير والقاضي والمؤرخ وقوفاً»

الوزير

أين الجلاد ؟

هل أقنع مولاتي أن تأتي راضية مرضيهْ

كي تغفي جنب جلالته طَوْعاً لإرادته الملكيهْ

حقاً ... ما أنبل قلبك يا مولاتي

الملكة

بل ما أغبى عقلك أنت

الجلاد الآن

«للشاعر»

أكمل

الشاعر

إن كان النهر قد اختَزَنَهْ

فهو الآن وبالذاتْ

يبحثُ عن جوهرةٍ ضَاعَتْ من إحدى جَدَّاتِهْ

في مَعِدَةِ إحدى السَمَكَات

المؤرخ

هل تعني أن الجلادَ .. غرق

الشاعر

بل ماتَ قتيلاً

واستخلفني سيفه

أعني ... أنا أسلمناه إلى حتفه

«يستل السيف ، ويرفعه في وجوههم»

القاضي

ماذا تبغِي ؟

أَغْمِدْ هذا السيف الباتر

نحن نطيعك فيما تأمر

الشاعر

أنا لا أبغي شيئاً

لكنْ مولاتي قد تبغي بعض الأشياءْ

القاضي

مولاتي ...

ماذا تبغين ؟

الملكة

أبغِي مُلْكي ... أبغي هذا القصرْ

الوزير

لك

الملكة

لي .. ولما أَحْمِلُهُ من مستقبلْ

الوزير

مستقبلْ

الملكة

الطفل

الوزير

طفلُ المِلكِ الراقِدْ

الملكة

بل طفلُ النهرِ الخالد

المؤرخ

مَنْ ؟

الملكة

طفل الجرح المفتوحْ
ككتابٍ قدسي
والسيفِ الناطف كالوَحي

القاضي

لا أبصر طفلاً يا مولاتي

الملكة

لا بد سيأتي
المستقبلُ لا يُخْلِفُ وَعْدَه
أصدق وعد هو وعد يضربه بطن الأم

المؤرخ

لكن الملك دعاك إليه

الشاعر

بل هو يدعوكم أنتم

القاضي

بَلْ سمعته أُذُنِي يدعُو الملكه

الشاعر

إنَّك كاذب
لا يدعو الموت إليه سوى الموتى

هيا فليحمل كل منكم طرفاً من جثة مليككم الميت

وامضوا به

ثم ضعوه في مقبرتِهْ

وأقيموا معه حتى يأنس خاطره بالموت

امضوا .. امضوا .. أو يفرغ فيكم هذا الغاضِبُ غَضَبَهْ

«يدفعهم بالسيف ، فيهرعون ، ثم يتجه إلى المنادي»

أنت اذهب معهم ، لتنادي حين يجيء قمامة موتى التاريخ

لزيارة سيدكم في حفرته الرطبهْ

إذهب .. إذهب

«يقف الملكة والشاعر متشابكي الأيدي ، فيبصران الخياط يدخل خجلاً ... تناديه الملكة» .

الملكة

أنت ... تقدم

ستكون نديمي وسميري

أعرف أنك لا تتكلَّمْ

يكفي أنْ أسمعَ مذبحة كلامِكَ في حلْقِكْ

يكفي أن أسمعَ صوتَك

يكفي أن أسألَ نفسي أحياناً : أينَ لِسَانُكْ

عندئذ يمثُلُ في وجداني تاريخُ الماضي كلُّه

الشاعر

مولاتي ... مَن حاشيتك ؟

الملكة

حاشيتي الناس جميعاً

أفتح بابي للمرضى والفقراءْ

والعشاقِ وطوّافي الطرقات وأهلِ الحِرفَةِ والأجَرَاء

سنعيشُ جميعاً في هذا القصر الموحش بالصمت الميِّتْ

حتى نملأهُ بضجيجِ أمورِ البَشَرِ الأحيَاءْ

نتقاسَمُ شقْوَتَنَا في أيام الشقوةِ كالجِزْيَهْ

وسعادَتَنَا في أيام الفَرْحَةِ كالكنز اللألاءْ

الشاعر

مولاتي !

ما أكرم قلبكْ

الملكة

.. هل ستظل معي ؟

الشاعر

في جنبك يا حبي ...

الملكة

« بتحفظ »

إنيِّ الآن الملكهْ

لكنْ ذكراك بقلبي

الشاعر

«في عبادة وهو راكع»

مولاتي .. مولاتي

ما أروعكِ منوِّرةً في قصرك

وأنا تابعك الممتثلُ لأمرك

الملكة

بل تابعيَ الفاني في حبي

الناسج لي أحلامَ المستقبلْ

المتغنِّي بالصُّبْحِ الأجملْ

الصبح الأجمل

«تهبط الستار ، وتقف أمامها النسوة الثلاث»

المرأة الأولى

هذا هو الحل الثالث ... أيها الأصدقاء ، واسمحوا لنا أن نناديكم بهذا النداء ، بعد هذه الليلة التي سهرناها معاً .

المرأة الثانية

والآن

أي الحلول الثلاثة قد أعجبكم .. ارفعوا أصواتكم بالرد ... إذن لن نعرض عليكم غداً غيره ، وكذلك في الأيام التالية إلى أن ينتهي هذا العرض ، ويحل محله في هذا المسرح عرض جديد ، يستدعي سؤالاً جديداً .

وإلى اللقاء ... لا ... معذرة ... لقد نسينا أن نقدم لكم أنفسنا ،
وستتولى زميلتي هذا التقديم .

المرأة الثالثة

أنا

أما زميلتي هذه فهي

وهذه هي

أما الممثلون الآخرون ، فهم :

.... في دور الملكة

.... في دور الشاعر

.... في دور الملك

.... في دور الوزير

الخ .. الخ .. الخ

« يضاء المسرح »

مطابع الشروق

بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٣١٧٢١٣ - برقيا : داشروق - تلكس : SHOROK 20175 LE
القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : ٧٧٤٨١٤ - برقيا : شروق - تلكس : 93091 SHROK UN